خطوات البحث العلمي

وصناعة الأمل

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2021م

جدول المحتويات

المقدّمة.. 5
البحث العلمي... 7
أهميَّة البحث العلمي:.. 11
تحديد مشكلة البحث: 17
تجاوز حيرة البحث العلمي: 26
أهداف البحث العلمي: 31
إنجازُ الأهدافِ يصنع المستقبل:... 34
الغرض: purpose:.. 40
الغاية aim: 44
الإرادة تمكِّن من بلوغ الغايات: 45
نيل المأمول: 48
فروض البحث العلمي: hypothesis.. 59
أهميَّة الفروض: 67
مصادر الفروض:.. 68
شروط الفروض العلميَّة:.. 69
الفرق بين الفرض والافتراض:... 71
الفرض:... 71
الافتراض: 72
صياغة الفروض: 73

تساؤلات الباحث العلمي: 73
صياغة التساؤلات:.. 75
سؤال question: 76
تحديد مصطلحات البحث العلمي: 77
حدود البحث: 84
استطلاع الدراسات السَّابقة.. 86
مفهومُ الاستطلاع: 86
مفهوم الدِّراسات:.. 89
مفهوم السَّابقة: 94
أهميَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة:.. 96
شروط استطلاع الدِّراسات السَّابقة: 97
تحليل المعلومات والبيانات:.. 99
تصنيف المعلومات والبيانات:.. 99
عرض المعلومات والبيانات: 102
أهميَّة تحليل المعلومات والبيانات: 103
عناصر التحليل العلمي: 106
- الكلّ:.. 106
- الجزء: 107
- المتجزئ: 107
التحليل الإنتاجي: 108

التحليل الإبداعي: 111
استخلاص النتائج والاستنتاجات 114
أوَّلًا: النتائج: 114
ثانيًا: الاستنتاج: 115
تفسير النتائج: 116
البحث العلمي يصنع أملًا 120
البحث العلمي يُمكّن من الأمل ارتقاء: 129
صُنع الأمل تحدّي صعاب: 135
البحثُ العلمي يُمكّن من بلوغ المأمول: 142
البحث العلمي يصنع الخوارق: 149
الأمل محفّز على الارتقاء: 155
صدر للمؤلّف 161
المؤلّفات 162
المؤلّف في سطور 178

المقدّمة

خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل: مؤلّفنا الذي ثبّتنا فيه خطوات البحث العلمي المتّفق عليها في كل العلوم والتخصّصات؛ كونها خطوات مقنّنة، بها يتم تقصّي المعلومات بالمعلومات بعد أن تصنَّف وتبوّب وتختبر تجربةً؛ وذلك بعد تحليل لمتغيراتها، ومدى تأثير كلٍّ منها على الآخر في إحداث المشكلة، وفي معالجتها وفقًا لنتائج علميَّة وموضوعيّة؛ حيث لكل موضوع أو مشكلة خصوصيّة، ولكل مجتمع خصوصيّة، وكذلك لكل بيئة.

وتبدأ خطوات البحث العلمي بتحديد مشكلة البحث التي تُحيِّر الباحث الذي يأمل كشف عللها ومسبباتها، بغاية تُمكِّنه من إيجاد حلول أو معالجات تفيد المؤسَّسة التي يعمل فيها باحثًا، أو تفيد المجتمع، أو البشريّة بأسرها.

ثمَّ تحديد أهداف الباحث التي يرى أنَّها قابلة للإنجاز، وليست أهدافًا خياليّة تتعلّق بالأوهام ولا تتعلَّق بالحقائق، سواء أكانت في مجال العلوم الطبيعيَّة، أم الاجتماعيّة والإنسانيَّة.

ومع أنَّ خُطوات البحث العلمي تتعدّد فإنَّها متَّسقة البناء ومتمِّمٌ بعضها البعض، ولا إمكانيَّة لتجاوز خطوة من خطواتها؛ ولهذا يصوغ الباحث فروضه العلميّة وفقًا لموضوعه قيد البحث، مع العلم أنَّ الفروض ليست بالافتراضات؛ ذلك لأنَّ الافتراضات تميل إلى ما يوهم العقل فيحيد به عن معرفة الحقيقة، أمَّا الفروض فلا تصاغ إلَّا وجزءٌ من المعلومات متوافرٌ بين يدي الباحث، وجزء منها غائب وهو الذي يسعى الباحث إلى كشفه والتعرُّف عليه.

ولأنَّ خطوات البحث العلمي مقنَّنة فلا بد وأن يحدِّد الباحث حدود بحثه موضوعًا، ومكانًا، وزمانًا، ومن ثمَّ لا إمكانيَّة لقبول بحثٍ في المنابر العلميّة سواء أكانت الجامعات، أم المعامل والمختبرات الخاصّة والعامة من دون تحديد دقيق للموضوع ومكانه وعمره الزّمني؛ وبهذا ترسم الخطط بداية على خطوات البحث العلمي، التي تُلزم الباحثين بالتقيُّد بها حتى لا يضلون طريقهم تجاه ما يأملونه من نتائج.

ولا تقف خطوات البحث العلمي عند هذا الحد، بل تمتد بغاية تجميع المعلومات من خلال إخضاع مجتمع البحث أو العيّنة المأخوذة منه إلى البحث التجريبي إن كان موضوع البحث يتعلّق بالعلوم الطبيعيّة، أو البحث الميداني إن كان موضوع البحث متعلّقًا بالمجتمع البشري.

مع العلم أنَّه لا قيمة للمعلومات وأن كثرت ما لم تخضع للتحليل الذي به تُفرز المعلومات، وتُصنّف، وتُبوّب، وتُحصر متغيراتها الرَّئيسة والفرعيّة، وتحدد مع تحليلي إحصائي به تنتقل المعلومات الكيفيَّة إلى أرقام كميَّة تدل على حقائق.

ثمَّ تأتي مرحلة بلوغ النتائج إن كان البحث تجريبيًّا أو ميدانيًّا، والوصول إلى الاستنتاجات إن كان نظريًّا مكتبيًّا، وأخيرًا تصبح النتائج قابلة للتفسير الممكِّن من كتابة التقرير، الذي يصاغ اختصارًا لما ترشد إليه التجربة والبحث.

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2021م

البحث العلمي

البحث العلمي جهود تبذل من أجل المزيد المعرفي وعيًا بما يجب وما لا يجب بهدف كشف الحقيقة وإزالة اللبس عنها والغموص، وهو التقصّي الدّقيق الممكّن من التقدّم وإحداث النُّقلة، أي: تقصي المعلومة بالمعلومة وتتبع مكامنها عند كل متغيّر من المتغيّرات التي تؤثّر فيها أو تتأثّر بها، وهو تنقيب عن الفكرة بالفكرة عندما تكون المعلومة مجرّدة، وتنقيب في الميادين عندما تكون المعلومات متجسدّة أو منعكسة في القول والفعل والعمل والسُّلوك، وتنقيب في المادّة في المعامل والمختبرات، ولكل قياساته واختباراته الموضوعيَّة، فالقيم تقاس ويقاس بها، وآراء المبحوثين والمحكّمين لآرائهم تقاس ويقاس بها، ودرجات السّرعة والحركة والامتداد والسّكون والنّمو والضّغط ودرجات التماسك تقاس ويقاس بها مقارنةً؛ ولهذا البحث العلمي يتطلَّب التحليل (تحليل المعلومة بالمعلومة والحُجَّة بالحُجَّة) فلا يتوقّف الباحث عند تجميع المعلومات المبعثرة ولو وزنت أطنانًا، بل المعلومات تستوجب التحليل؛ كي يتمكّن الباحث من معرفة المتغيّرات وأثر كل متغيّر على متغيّر آخر أو متغيّرات أخرى، وبتحليل المعلومات يتمكّن الباحث من بلوغ نتائج موضوعيَّة ليست من بناتَ أفكاره الشخصيّة بل هي نِتاج التحليل الموضوعي للمعلومات التي جمَّعها الباحث من مصادرها البشريَّة، أو الوثائقية، أو جمَّعها من ميادينها.

ولأنَّه بحث علمي فهو المؤسّس على المسببات المنهجيَّة التي تتطلَّب مشكلة أو إشكاليَّة بحثية تُحيّر البحَّاث بما تتركه من أثرٍ سلبي على من يتعلّق الأمر بهم أفراد، أو جماعات، أو مجتمعات، أو شركة، أو مؤسسّات دولة، وهذه تتطلَّب من الباحث العلمي أن يصوغ لها أهدافًا واضحة وفروضًا أو تساؤلات تحمل أبعاد

مشكلة البحث في أحشائها وإلّا لن يبلغ الباحث نتائج موضوعيَّة تسهم في حل تلك المعضلة التي تمركزت إشكاليَّة أو مشكلة البحث عليها.

وللبحث العلمي وسائله أو أدواته المقنّنة والقابلة للتقنين باختلاف المواضيع والظروف المكانيَّة والزمنيَّة والموضوعيَّة (الخاصّة بالموضوع قيد البحث)، فإن استخدم الباحث الوسائل المقننة كان على هداية البحث العلمي، وإن لم يستخدم ذلك فلن يكون.

وعليه: فالبحث العلمي يمتد بالمعلومة من إشكاليَّة أو مشكلة أكبر وفق فروض أو تساؤلات إلى تحليل متغيّرات المعلومات إلى بلوغ النتائج ثم إلى التفسير (تفسير النتائج وليس تفسير المعلومة)، وقد يتطلَّب التفسير توصيات موضوعيَّة من الباحث للجهة التي كلفته بالبحث تتم صياغتها في التقرير الختامي للمجهود العلمي الذي قام به الباحث، أو البحَّاث؛ ليكون التقرير متضمّنًا للحلول والمقترحات حيال تلك المشكلة التي حيّرت الباحث بداية وطمأنته نهاية.

وعلينا أن نميّز بين البحث العلمي research والدراسة study، فكثير من البحاث يخلطون بين هذا وذاك، فالدراسة جهود تُبذل على واقع معروف لإظهاره وافيا بين أيدي من يتعلق الأمر بهم، وهي واسعة الامتداد في المجالات المتعددة للحالة أو الظَّاهرة أو العميل، وقد تكون الدراسة استطلاعيّة للتعرُّف على ما يشير أو يدل على وجود مواقف موجبة أو إشكاليَّات سالبة أو مواضيع ذات أهميَّة في دائرة الممكن، وقد تكون الدراسة تتبعية وفقًا لخطّة مُعدّة لإنجاز أهداف من ورائها غايات إصلاحيّة أو علاجيّة بعد دراستها دراسة وافية، مع أنَّ الدراسة واسعة المعالم وقد تُسهم في عمليات الإصلاح الاجتماعي والنفسي والاقتصادي

فإنَّها في مُعظم الأحيان لا تُضيف الجديد، فهي تُمكِّن من التعرُّف على ما هو كائن وقد تدفع إلى إصلاحه أو إصلاح بعض منه (بعض مما فسد أو انحرف).

وتحتوي الدراسة الموضوعيَّة خمس عمليات مهنيَّة هي: (علميَّة جمع المعلومات، وعمليَّة تحليل المعلومات، وعلميَّة تشخيص الحالة، وعلميَّة العلاج، وعلميَّة التقويم).

وتتصف الدراسة بالشموليّة من حيث الموضوع، والزَّمان، والمبحوثين؛ فمن حيث الموضوع تمتدّ لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والذوقي والثقافي، ومن حيث الزَّمن: فهي لا تغفل عن الماضي وأهميّته، والحاضر وواقعه، والمستقبل وما يُستهدف من أجله، أمَّا من حيث المبحوثين فهي تمتدّ من حالة الفرد إلى حالة الجماعة إلى حالة المجتمع؛ ولذا فإنَّ الدراسة تهتم بمعرفة الكل وأثره على الجزء والمتجزئ وهذا ما ليس بالبحث.

والبحث يتطلَّب فروضًا أو تساؤلات وإشكاليَّة تستوجب الحلّ وإلا تفاقمت وأثّرت في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولهذا فالبحث لا يقوم به إلا متخصص ومن هم على مهارة مهنيَّة وفنيَّة، أمَّا الدراسة فقد يجريها المتخصص وغير المتخصص، والبحث يركز على متغيّرات البحث، والدراسة تتوسّع في غير ذلك فهي تميل للعموم والبحث يتمركز على الخصوص.

فالبحث وبخاصة في الدراسات العليا التي تعد الأكاديميين والبحاث يستدعي متخصصين يقومون بعمليات الإشراف؛ لتوجيه البحاث وإرشادهم إلى ما يمكِّنهم من استيعاب منهجيّات البحث ويمكّنهم من استخدام وسائله، أمَّا الدراسة فلا تتطلَّب كل ذلك.

ولهذا؛ فالبحث research جهود تُبذل للتعرُّف على ما لم يُعرف بالتمام مسبقًا، وهو تقصٍّ دقيق وتتبُّع واعٍ وفق خطّة مؤسَّسة على أهداف موضوعيَّة وفروض في دائرة الممكن؛ ولأنَّ الدراسة هي معرفة ما هو كائن، فالبحث هو معرفة ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون.

إنَّه التتبُّع الدّقيق والتقصّي الواعي للعلاقات ذات الأثر السَّالب أو الأثر الموجب، وكشف ما ستضيفه جديدًا على الحياة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

ولذا تصاغ الفروض العلميَّة للبحوث التي تستوعب الجزء المتعرَّف عليه وتتطلّع للجزء المفقود حتى تكتمل المعرفة ويتم بلوغ الحقيقة المتعلّقة بموضوع البحث، مما يجعل بلوغها يؤدّي إلى الإضافة الجديدة التي لم يسبق لها وإن وجدت، وقد تكون النتائج المتوصل إليها بالبحث العلمي إضافة جديدة بكاملها وليست إضافة جزء مفقود لجزء معروف أو متوافر، وفي مثل هذه الحالات تصاغ التساؤلات بدلًا من أن تُصاغ الفروض.

وعليه: البحث العلمي يؤدّي إلى إضافة جديدة لمعرفة سابقة، وقد تكون النتائج المتوصّل إليها تصحيحًا لمعلومات سابقة أو إبطال قاعدة من القواعد التي كان يُعمل بها، فالبحث لأجل التعرُّف على الجديد وإضافته تطوّرًا وتقدّمًا.

ولذا؛ فإنَّ الدراسة تجرى على الشيء الموجود، والبحث جهود تبذل من أجل معرفة الشيء الغائب؛ ولهذا تجرى الدراسات لأجل التعرُّف على ما هو كائن وتصحيح انحرافاته مع إعطاء مؤشّرات لِما ينبغي أن يخضع للبحث الموضوعي، وتجرى البحوث لأجل الجديد وتتطلع إلى كل نافع ومفيد.

وعليه: إذا أردت أن تَعرِفَ: (ادرس الشيء الموجود، وابحث عن الشيء الغائب).

ومن ثمَّ؛ لا ينبغي أن نطلق على رسائل الماجستير والدكتوراه مسمى الدراسة، بل مسمّى البحث الذي لا يقوم به إلا مُتمكِّن ومتضلّع في طرق البحث ومستوعبٌ لمناهجه وأساليبه العلميَّة.

أهميَّة البحث العلمي:

من أهميَّة البحث العلمي: أنَّه المثري للعلوم كما أن العلوم هي المثرية للمعارف، وهذا الأمر يجعل العلوم أوسع دائرة من البحوث، والمعارف أوسع دائرة من العلوم، وتتَّضح أهميَّة البحث بإثرائه العلمي من خلال الاكتشاف وتوليد الفكرة من الفكرة، وتطوير الكل بالجزء الذي يتولّد منه، وكذلك البرهان الذي يُقوِّي البحث العلمي بالحُجَّة والنقد البناء ويخرجه من دوائر السّكون ليُحدث النُّقلة ويمتد إلى صناعة المستقبل الأفضل والأجود والأحسن.

وترتبط أهميَّة البحث العلمي بمدى توافر الاطمئنان للبحث والباحث، أي: توافر المناخ اللائق الذي يطمئن نفوس الباحثين ويُحفِّزهم على الإنتاج العلمي؛ لأنَّ العلم كنوز، والبحث هو التفتيش عنها، والبحث من دون اطمئنان لا يُمكِّنُ الباحث من اكتشافها نتيجة الشّكوك والمخاوف.

وعليه: إنْ أردنا للبحث العلمي أهميَّة فعلينا أن نوفِّر المناخ اللائق للبحاث؛ لتطمئن أنفسهم لصناعة المستقبل الأفضل والأنفع والأفيد، وعلينا بتوفير إمكاناته المتعدّدة والمتنوّعة ماديَّة وبشريَّة، وعلينا باستيعاب الآخر الذي يتقدّم في ميادين البحث العلمي، وعلينا بالانفتاح عليه بما لا يؤثّر سلبيًّا على فضائلنا وقيمنا الحميدة

هذا إذا أردنا أن نوطِّنَ علمًا في بلداننا، أو إذا أردنا أن نُحدِثَ النُّقلة التي بها تتمكّن بلداننا من دخول ميادين المشاركة والمنافسة العلميَّة التي يخوضها بحاث العالم.

ومع ذلك فالدّول المتقدمة تخشى أهميَّة البحوث العلميَّة التي تقوم بها الدّول المتخلفة؛ لكي لا تشاركها كنوز العلم فتشكل خطورة عليها؛ وذلك لمعرفتهم أنَّ البحث العلمي يؤدّي إلى الاكتشاف والاختراع الذي يجعل من المتخلف متقدّمًا ومنافسًا، وقد يصبح مصارعًا لمن كان سببًا في تخلّفه؛ ولهذا فالدول المتقدّمة لا تود لغيرها من الدّول أن تكون قويَّة مثلها، حتى لا تستوقف توسعها الاقتصادي والسياسي العسكري، أو أن تشكل خطورة عليها؛ ولذا تتَّضح أهميَّة البحث العلمي بتوفير الاطمئنان لا بتوفر الخائف والمخيف؛ وذلك لأنَّ الخائف لا يمكن أن يكون باحثًا أو مخترعًا، بل الذين تطمئن نفوسهم هم الذين يبحثون ويسعون لنيل الفوائد العلميَّة، وهم الذين يبحثون من أجلهم والآخرين؛ ولهذا فالبحث العلمي وإن قام به باحثٌ فثماره تُقطف للجميع.

وإذا أردنا أن نتعرَّف على أهميَّة البحث العلمي فعلينا بتوفير:

1 . مصادره والغوص في متونها.

2 . مراجعه ودراستها.

3 . أدواته ومعرفة استخدامها.

4 . معامله وجودة إدارتها.

5 . مختبراته وتوظيفها لتأهيل البحاث والبحاث المساعدين.

6 . ميادين التجريب التي فيها تتجسدّ الحقائق أو تُرفض بموضوعيَّة.

7 ـ تقنيته التي تتطلَّب استيعابًا وافيًا من قبل القائمين عليها والمتدرّبين والدّارسين والمتعلّمين.

ومن أهميَّة البحث العلمي: أنّه يُسهمُ في تقدّم الأفراد والجماعات والمجتمعات ويجعل للدّول المتقدّمة مكانة وهيبة، ومن أجل هذه الأهميَّة ينبغي أن تتوافر له الظّروف الموضوعيَّة الخاصّة بكل موضوع أو مشكلة بحث.

وكذلك ينبغي أن تتوافر له الظّروف المكانيَّة والزّمانيّة المناسبة لنجاحه، وأن يتوافر للباحث خلوة علميَّة فيها يتمكّن من التحكّم في متغيّرات المشكلة البحثيَّة، وفيها يتمركز فكره ووعيه وانتباهه على أثر كل متغيّر من المتغيّرات التي يحلل عناصرها في علاقات مع متغيّرات أخرى قد تكون دخيلة، وقد تكون متداخلة، وقد تكون تابعة للمتغيّرات المستقلة، والخلوة العلميَّة تتطلَّب تهيئة الجو المناسب للباحث بحيث يكون مهيّأ للبحث، لا مشاغل له، ولا همَّ له إلّا البحث، والباحث العلمي المبدع يؤمن بأن باب الازدياد العلمي مفتوحٌ أمام البحاث؛ فيبحث وهو مؤمنٌ بقوله تعالى: {وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[1]، والخلوة العلميَّة تختلف عن خلوة المغارات التي ينتظر أصحابها من السّماء أن تدر عليهم اللبن كما يعتقدون، ونسوا قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[2]، وقوله تعالى: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[3]؛ ولهذا تختلف الخلوة العلميَّة عن خلوة البكاء والتضرُّع لغير الله الذي أمر بالعلم والعمل؛ فالأولى ميدان علمٍ وعمل، إنتاجه

---

[1] طه: 114.

[2] التوبة: 105.

[3] سبأ: 11.

يراه الله عزَّ وجلَّ ويراه المؤمنون؛ ولهذا فخلوة الباحث هي مكان إدرار تفكيره، واستنباط معارفه واستعاب إلهاماته، أمَّا الثَّانية فمغارة كسل وبكاء لا إنتاج لها إلَّا الدّموع والإهمال.

وبطبيعة الحال لا أقصد بذلك الذين يذكرون ربّهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم وهم كذلك يسبِّحونه قبل طلوع الشّمس وقبل الغروب شاكرين له حامدين على ما أحاطهم به من نعمة، بل أعني الذين يتكئون على جرفٍ هَارٍ فليس له بدٌّ إلَّا الانهيار؛ مصداقًا لقوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[4].

ومن أهميَّة البحث العلمي: ألَّا يوضع سقفٌ للتفكير الإنساني، والسّقف الذي أعنيه هو وضع كلمة (ممنوع) وكلمة (توقّف) أمام المبدعين والمفكرين والبحَّاث التي تجعلهم يائسين في مكانهم يراوحون لا تقدّم ولا إبداع، فهكذا حال المجتمعات المتخلفة، يطلب منها أن تسير إلى الأمام دائمًا، ودائمًا يضعون أمامها إشارة قف، فكيف يمكن لها أن تتقدّم والطريق من أمامها مسدُودٌ؟ وفي مثل هذه الحالات يصبح البحَّاث كمن تُضرب له إبرة تنويم لتخدّره ويطلب منه أن يسهر مع السَّاهرين، أو أنْ يشترك في سباق ضاحية وينتظر منه الفوز.

ومن أهميَّة البحث العلمي في المجالات الاجتماعيَّة والنفسيَّة: أن يبدأ الباحث مع المبحوث أو المبحوثين من حيث هم؛ من أجل أن يصل بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه.

[4] التوبة: 109.

ومن أهميَّة البحث العلمي أيضًا قبول التعامل مع ما هو كائن والتعرّف عليه من أجل اكتشاف أسراره وكسب فوائده.

ومن أهميَّة البحث العلمي: الحيادية؛ ولذا فإن كان هناك انحيازٌ فهو من الباحث أو الموظف للنتائج البحثيَّة التي تحقّقت على أيدي الباحث، أمَّا البحث فلا انحياز فيه، أي: إنَّ البحث لا يسيطر على أحدٍ، بل الذي يسيطر بما وصل إليه الباحث من نتائج هو ذلك الإنسان الموظف لتلك النتائج المحايدة؛ ولأنَّ من طبيعة البحث العلمي الحياديَّة فلا يجب على أحد الانحياز والاحتكار.

وعليه: الذين يعتقدون أنَّ البحث وسيلتهم في السيطرة على الطبيعة مخطئون، ونسوا أنَّ هذه المهمّة ليست من مهمة المخلوق، بل من مهمة الخالق جلَّ جلاله، ومهما عمل الإنسان على الأرض لن يستطيع أن يغيّر مسارها، فإن بحث في الطّاقة الشمسية ومهما بحث لن يستطيع أن يغير مواقيت شروق الشمس وغروبها، وبرغم أنّنا عرفنا الصّواعق، وعرفنا الزلازل، وعرفنا أسبابها، واكتشفنا إمكانيّة تفادي مخاطرها وما زلنا نبحث ونحاول أن نكتشف الكثير، فإنّنا لم نستطع السيطرة عليها؛ ولهذا فلن يضمن لنا أيّ مخلوق عدم ظهورها من جديد إلّا أنّنا نعرف واثقين بأنّ الذي يعلم ذلك هو الذي خلقها وخلق الذي يبحث فيها، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}[5].

ومن أهميَّة البحث العلمي: مواكبة التغيّرات المستمرّة مما يُيسِّر التعامل مع كل جديد بموضوعيَّة.

---

[5] الزلزلة 1 ـ 5.

ومن أهميَّة البحث العلمي: أنَّه يضيف الجديد النافع والاستمرار في إضافته بما يُفيد الأفراد والجماعات والمجتمعات.

ومن أهميَّة البحث العلمي: أنَّه يُثري المكتبات، مما يُيسِّرُ العلوم والمعارف بين أيدي المتعلمين والباحثين في المدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميّات البحثيَّة.

ومن أهميَّة البحث العلمي: الإسهام في حلّ الإشكاليَّات والمعضلات والمشاكل التي تواجه الإنسان في المجالات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنفسيَّة والثقافيَّة والذوقيَّة.

ومن أهميَّة البحث العلمي: تحقيق أدوات التطوُّر وتقنياته وفك اللبس والغموض الذي يصاحب ظاهرة من الظواهر الاجتماعيَّة أو الطبيعيَّة وتفادي المترتّبات السلبيَّة التي تنجم عن ذلك.

ومن أهميَّة البحث العلمي: أنَّه يُمكِّن من كشف الأخطاء ويُمكِّن من معالجتها وإيجاد الحلول، أو التعرّف على المؤشّرات التي إن لم ينتبه إليها قد تؤدّي إلى مشكلة كما هو حال البحث باستخدام العيّنات المتعدّدة والمتنوّعة التي نتائجها دائمًا تُعطي مؤشّرات إلى ظاهرة قد تحدث إن لم تعالج الأسباب التي تم اكتشافها من خلال البحث الذي أجري على عيّنة من الأفراد أو الجماعات.

ومن أهميَّة البحث العلمي: أنَّه يُحسِّن الأحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة والثقافيَّة والصحيَّة والتعليميّة والتربويّة، وهكذا يُحسِّنُ كلّ حال في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

تحديد مشكلة البحث:

إشكاليَّة البحث في معظم الأحيان ليست معقدة كثيرًا كما هو حال المشكلة البحثيَّة؛ فإشكاليَّة البحث هي معضلة تواجه الفرد أو الجماعة ،أو تواجه تقنية ما، أو صناعة ما، أو اقتصاد أسرة في مدينة ما، أو في دولة من الدّول، أو هي تلك المعضلة التي تواجه أساليب التعليم والتعلم، أو تواجه إدارة من الإدارات الخاصة أو العامّة، أو مؤسَّسة من المؤسّسات أو إنتاج شركة من الشركات، أو من أجل تجويد إدارة من الإدارات وتحسينها، أو جامعة من الجامعات، أو علاقة من العلاقات الاجتماعيَّة وغيرها كثير، وهذه الإشكاليَّات في معظم الأحيان يتولّاها الباحثون في الجامعات والأكاديميّات بالبحث في نيل الشهادات العليا والتخصصيّة.

أمَّا المشكلة فهي الكل المعقّد الذي يُحدث أزمة اجتماعيَّة كما هو حال العولمة وما يُطرح باسمها على حساب الخصوصيَّات الاجتماعيَّة، أو مشكلة اقتصاديَّة، أو مشكلة صحيَّة كما هو حال مرض أنفلونزا الخنازير التي أثارت اهتمام العالم بالبحث حتى لا تكون الكارثة على المجتمع الإنساني، أو مشكلة سياسيَّة متنوِّعة العلل.

ولذا؛ فإشكاليَّة البحث هي التي تواجه المهتمّين بالبحث العلمي مما يجعلهم يصوغونها موضوعًا يستوجب البحث بعد أن تحدّد أهدافه على الوضوح، وأن يتمحور على فروض وتساؤلات ينتظم عليها بوحدة منهجيَّة تُمكِّن الباحث من الوصول إلى نتائج موضوعيَّة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

إذن: إشكاليَّة البحث أو مشكلته هي التي يحفُّها الغموض والتعسير مما يستوجب على الباحث أن يبحث عن مكامن ذلك الغموض والتعسير وعللها وأسبابها حتى يعرفها، فإن تمكَّنَ من معرفتها بالبحث يتمكّن من إيجاد الحلول أو

المعالجات الشافية للدّاء أو الأثر الذي تركته على المؤسَّسة، أو الأفراد، أو الشركة، أو أيِّ خاضع للبحث العلمي.

ولذا؛ عند صياغة إشكاليَّة البحث أو مشكلته ينبغي أن يركِّز الباحث على إظهار مكامن المشكلة التي تستوجب صيغة واضحة لفروضها أو تساؤلاتها التي تُمكِّنه من كشف متغيّراتها وسبر أغوارها.

فإشكاليَّة البحث من دون شكّ يحفُّها الغموض؛ فهي لن تتَّضح إلا بوضوح معالمها من خلال البحث؛ ولهذا لا عيب أن تصاغ إشكاليَّة البحث على فترتين من الزَّمن: الأولى: فترة الغموض عند كتابة خطّة البحث.

الثانية: فترة الوضوح وهي بعد إنجاز البحث؛ لتكون أمام لجنة المناقشين على الوضوح التَّام، وهكذا تكون بين أيدي القراء في المكتبات العلميَّة التي يتوافد الباحثون والدارسون عليها، أي: في فترة الوضوح ينبغي أن يُعيد الباحث صياغة إشكاليَّة بحثه التي سبق أن صاغها لاعتماد الخطّة في فترة الغموض ليكون ويكون غيره من بعده على بيِّنة من الأمر.

وإشكاليَّة البحث لا ينتهي البحث فيها إلا بمعرفة الحلول التي يتوصّل الباحث إليها، أي: بما إنَّها إشكاليَّة أو مشكلة ستضل قائمة بحالها إلى أن يتم التعرّف على الوسائل التي تُسهم في إيجاد حلول لها مما يستوجب على البحاث إنَّهاء إشكاليَّات بحوثهم بحلول ومعالجات، لا بصياغات لغويّة نظريَّة وتعبيرات لا تُمكِّن القراء من ملامسة الحلول والمعالجات.

وكما يقولون: بما إنَّها إشكاليَّة أو مشكلة فلكل إشكاليَّة ومشكلة حلّ، قد يكون ميسّرًا، وقد يكون محفوفًا بالمخاطر والصّعوبات التي تستغرق الزَّمن ولا تُثمر،

ومع ذلك لا ييئس البحَّاث ولا يتوقفون حتى بلوغ الحلّ؛ ولذا فمن المستغرب أن تجاز بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات وهي غير مختومة بمعالجة أو حلّ.

وأهم ما يواجه الباحث في تحديد مشكلة بحثه هي الحيرة التي تضايق نفسه بين الحين والحين مما يجعل البعض من البحَّاث يترك موضوعًا مهمًّا ويتوجه إلى موضوع أقل أهميَّة، ومثل هؤلاء البحَّاث هم الذين يختتمون بحوثهم دون أن يستشعروا بعظمة ولادتها، فهم كمن يصلّي وبعد أن يُسلِّمَ من صلاته لن يتذكر ما قرأ من سور في صلاته وإن كانت ركعتين.

لذا أقول:

بقاء الباحث في زمن الحيرة دون هروب منها يُخرجه من كل غموض ولبس إلى مكامن العلل والأسباب التي تكمن فيها إشكاليَّة البحث أو مشكلته، وحينها يسعد، ومن بعدها لن يكون غيره أكثر إلمامًا منه فيما بحث وكتب.

وعليه: فإنَّ أوَّل مشكلة تواجه الباحث كيف يتخلّص من الحيرة التي تعيق تفكيره في أن يحدّد موضوع بحثه؟ وكيف ينتقل من الشّكّ إلى اليقين بأن مشكلته تكمن في القلق الذي يحيط به والغموض الذي يتطلَّب منه صبرًا مكتبيًّا لاستطلاع ما كُتب عن الموضوع قدر الإمكان في مجال تخصصه، والاطلاع على المعارف المتوافرة؛ لتساعده على صياغة مشكلة بحثه وتحديدها، والتي تنقله من الضلالة إلى الهداية؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[6]؟ وهذه الحيرة مقبولة؛ لأنَّ بعدها هداية وتعلُّم حكمة، ولا تتَّضح

[6] الجمعة، 2.

مشكلة البحث إذا لم يلمّ الباحث بفلسفة الموضوع الذي يود دراسته، وتتّضح فلسفة البحث بإجابة الباحث عن السُّؤال: لماذا هذا الموضوع بالذات؟ ولماذا لم يختر غيره؟

فإذا كانت الإجابة واضحة في ذهن الباحث بارتباطها مع وضوح الأهداف والغايات المرجوة كان للبحث حكمة، وإذا كانت له حكمة، كان له موضوع ومعنى يستوجب البحث فيه، ونحن نتّفق مع ما قاله دارون: "إنَّ تحديد المشكلات البحثيَّة أصعب من إيجاد الحلول لها"[7].

وعليه: وضوح الأهداف والفروض أو التساؤلات، وتوافر الإمكانات، ورغبة الباحث واهتماماته، وتحفيز المجتمع للبحَّاث يذلل المشاكل البحثيَّة، ويحقق نجاحًا علميًّا رائعًا، وهذا لا يعني أنَّ كل مشكلة من المشكلات اليوميَّة التي تواجه الإنسان تتطلَّب بالضرورة إجراء بحوث أو دراسات، ولكن المشكلات البحثيَّة هي التي تجيب نتائجها عن طموحات عامة أو تُظهر إبداعات جديدة أو تُصحح ملابسات وأخطاء أو تُعطي مؤشّرات لبحوث ضرورية.

ويرى أرسطو المشكلة problem هي: (مسألة نظريَّة أو علميَّة يجادل فيها ولا يوجد بالنسبة إليها رأي واضح)؛ حيث يكون الرَّأي الواضح بعد إخضاعها للبحث والتقصي الدّقيق، الذي يُمكِّن من معرفة العلل والأسباب والمتغيّرات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بظهورها على السّطح الاجتماعي أو الإنساني، وعندما تخضع المشكلة للبحث والدراسة العلميَّة تصبح في ميادين المعرفة ومراكز البحوث موضوعًا بين أيدي البحّاث؛ فتُرسم لها الخطط وفقًا لِما وراءها من أهداف ومقاصد

---

[7] R. Merton, Notes on problem finding in sociology in 'Sociology today ', 6-1959. p. 4.

وترصد لها الميزانيَّات وتحدّد الإمكانات اللازمة لدراستها أو البحث في أغوارها، ولكي تُسبر أغوار المشكلة علميًّا يجب أن تصاغ لها الفروض العلميَّة التي تُمكِّن الباحث من اكتشاف العلاقات بين المتغيّرات والأسباب والعلل التي كوّنتها أو أظهرتها إلى حيّز المشاهدة والملاحظة بعد أن كانت في حالة كمونٍ وسكونٍ.

والمشكلة: هي التي لم يتم التعرّف على حلولها بعد، وهي التي ستظل باقية إلى أن يتم بلوغ المعالجات الموضوعيَّة، وقد تكون مشكلة طبيعيَّة كما هو حال البراكين وانتشار الآفات والفيروسات الضارة وما يترتَّب عليها من عدوى إن لم يتم التحصين، وقد تكون اجتماعيَّة كما هو حال سوء التوافق وعدم التكيّف والتفكك الأسري والصراعات القبليَّة والطبقيَّة، وقد تكون إنسانيَّة كما هو حال الحروب والمجاعات وما يترتَّب عليها من اتخاذ مواقف سالبة من تعصّبات وانحيازات أو دمار وهجرات بشريَّة مع انتشار الجوع والفقر.

وعندما تخضع المشكلة للبحث تستوجب تحديدًا دقيقًا لبعدها الموضوعي (أبعاد الموضوع هل هي ذات أبعد سياسيَّة أم اجتماعيَّة أم اقتصاديَّة أم نفسيَّة أم متداخلة بين هذه المتغيّرات وغيرها من المتغيّرات التابعة والمستقلة الأخرى)، وهي كذلك تستوجب تحديدًا مكانيًّا (المكان الذي تمتد فيه المشكلة أو تتفشى، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر)، وكذلك تستوجب تحديدًا زمنيًّا (تحديد الزَّمن الذي ظهرت فيه والمجال الزَّمني أو الفترة الزمنيَّة التي ستخضع للبحث).

وتقع كل مشكلة في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) وفي ذلك يكون (لكلّ مشكلة حلّ) أي: إنَّ المشكلة تحت سيطرة الحلّ الذي قد تكون معطياته

في صياغة متغيّرات الفرص المتوقَّع، أو تكون في صياغة متغيّرات الفرص غير المتوقَّع[8].

ومن مشكلة البحث يصاغ موضوعٌ للبحث، والموضوع هو ما يشغل بال البحَّاث ويجعلهم يولون اهتمامًا منظّمًا ويدخلهم إلى ميادين الحيرة ويخرجهم منها إلى ميادين المعرفة الواعية. والموضوع قد يكون على مشكلة أو له مشكلة، وقد يكون لظاهرة طبيعيَّة أو عقليَّة أو اجتماعيَّة، وقد يكون تطلعيًّا لصناعة المستقبل الأفضل وفقًا لِما يُشبع الحاجات المتطوّرة؛ ولذا فإنَّ تحديد الموضوع وفقًا لمتغيّراته وامتداداته يجعله في متناول البحث الموضوعي، سواء كانت هذه الامتدادات اجتماعيَّة أم اقتصاديَّة أم سياسيَّة أم نفسيَّة أم ذوقيَّة أم ثقافية، ومدى تأثيرها على الفرد والجماعة والمجتمع في الأسرة أو المدرسة أو في ميادين العمل وأماكن الترفيه وممارسة المناشط الحرّة؛ ولهذا ينبغي أن يحدّد الباحث أو الدارس معالم بحثه؛ حتى لا يكون موضوعه مجرّد توهّم ليس إلَّا.

ولهذا فالموضوع يتكامل بمتغيّراته وبعلله ومسبباته وبما يكمن فيه من معضلات وحلول وبما يحتويه من قيم وما يؤدّي إليه من مكاسب ومعالجات تحتاج إليها، سواء على المستوى الفردي أم الجماعي أم الاجتماعي.

وفي الموضوع مثلما تكمن المشكلة يكمن الحلّ؛ ولذا منه يستمد الباحث أهميَّة بحثه، وأهداف بحثه، وفروضه أو تساؤلاته ومنهجه وأدواته البحثيَّة التي على ضوئها تصاغ الخطط البحثيَّة بكل موضوعيَّة.

---

[8] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الوحدة الأولى: مصطلحات ومفاهيم، منشورات جامعة الفاتح، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الأولى، 2007م، ص 137.

ولذلك فكثير من الظواهر تُدرس وكثير من المشاكل والإشكاليَّات تُبحث؛ ولهذا فإشكاليَّات البحث كامنة خلف ما تتركه من آثار سلبيَّة، أمَّا الظَّاهرة phenomenon فهي ما ليست بخافية بأثر طبيعي أو عقلي أو اجتماعي؛ فالخسوف والكسوف والزلزلة والبراكين والتصحُّر ظواهر طبيعيَّة، والنبوغ والتفوق العلمي والإبداع والاختراع والإيمان والكفر ظواهر عقليَّة، وهكذا الزواج والطلاق والتعاون والتفاعل والمشاركة والوحدة والاندماج والفساد والجريمة والانحراف ظواهر اجتماعيَّة.

إذن: الظَّاهرة يمكن أن تكون ذات أثر موجبٍ ويمكن أن تكون ذات أثر سالبٍ، وقد يترتَّب على الظَّاهر ظواهر أخرى؛ فعندما يكون الفساد هو الظَّاهرة فقد تترتّب عليه ظواهر الشخصانيّة، والنفاق، وسوء الإدارة، والتفكّك الأسري ما يجعل الفعل السَّالب في حالة تجزئة، وقد يترتَّب على ظاهرة الفساد ظواهر ذات أثر موجبٍ؛ وذلك عندما تتكون الجماعات الرّافضة لهذه الظَّاهرة مما يجعل ردود الأفعال تؤدّي إلى الالتزام الديني والخلقي؛ فتظهر التنظيمات الرَّافضة والمقاومة لظاهرة الفساد وتتّسع دوائر المقاومة حتى يصبح الإصلاح هو الظَّاهرة الأهم والأعظم.

ومن ثم فإنَّ لكل ظاهرة ماهيَّة ودلالة بها تتكون وبها تُستقرأ وتُبحث؛ ولذا لا وجود لأيّ ظاهرة إلا بمبرراتها العلميَّة والمنطقيَّة التي بها يتم التعرّف عليها.

والظَّاهر هو ما ليس بكامنٍ ما يجعله خاضعًا للملاحظة والمشاهدة والتعرّف عليه بشكل مباشر أو غير مباشر؛ ولذا فالمعلومة الظَّاهرة تُسهم في تحلل ظواهر من بعدها، وهكذا تُحلل المعلومات وفق البيانات المشاهدة، والملاحظة والمحسوسة، سواء أكانت سلوكًا أم شكلًا، أم كمًّا، أم فعلًا، والظَّاهر هو الذي يتم التوقّف عنده من

أجل التعرّف عليه، ومع ذلك ليس كل ظاهر واضحًا، بل معظم الظواهر تحتاج إلى توضيح، سواء أكانت ظواهر طبيعيَّة أم اجتماعيَّة، والتوضيح هو تبيان ذلك الظَّاهر بما ظهر به عن الكامن، وبما ظهر عنه من أفعال، أو أقوال، أو إنتاج، فالإنسان قيمة كامنة في الإنسان الشّكل، وهكذا السُّلوك تصرف ظاهر من الشّكل الذي له كامن.

والظَّاهر هو الذي لم يعد مخفيًّا عن المشاهدة والملاحظة ما يجعله بيّنًا للمعاملة والتعامل الموضوعي، وهو الذي من وراء ظهوره غاية، ما يجعله قابلًا للامتداد والحركة ويتجسدّ في السُّلوك والفعل بالنسبة إلى ما يتعلّق بالحياة البشريَّة؛ ولهذا فالظَّاهر ما ليس بكامن، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين النيَّة فالنيَّة ساكنة كامنة إلى حين تتوافر معطياتها فتمتد من حيز سكونها إلى الظهور في الفعل والسُّلوك، ومثل: النّواة التي فيها تكمن النخلة التي عندما تغرس النواة في التربة المناسبة لنموها تظهر النخلة منها للمشاهدة والملاحظة وتنتهي النواة وتصبح هي الأخرى محمولة (كامنة) في النخلة عندما تثمر.

وعليه: فالإنسان كشكل ظاهر يصعب الحكم عليه بأنَّه خيّرٌ أو شريرٌ إلَّا بعد التعرّف عليه عن قرب بالمشاهدة والملاحظة والمشاركة، وكثيرًا ما يكون الظَّاهر نتيجة للكامن، ووسيلة للتعرُّف عليه؛ ففي التحليل النفسي يكون الظَّاهر وسيلة للتعرُّف على الكامن، ويكون الكامن غاية لإصلاح الظَّاهر؛ ولهذا يتمّ التعرُّف على الكامن بالظَّاهر، ويتم إصلاح الظَّاهر بإصلاح الكامن؛ فالسُّلوك كظاهر قد يكون أمام المشاهد سويًّا، أو مثالًا، أو فيه القدوة، ولكنَّه في الواقع قد يكون غير ذلك؛ فالابن أو الابنة كثيرًا ما يكونا أمام أسرتهما، وبخاصة الوالدين، على خُلق والتزام وأدب، ولكنَّهما في حقيقة الأمر قد يكونا غير ذلك من ورائهما، فمن خلفهما قد

يقومان بأكبر الانحرافات السُّلوكيَّة، وعندما يتم إبلاغهما (إبلاغ الأبوين) بأنَّ أحد أبنائهما منحرفٌ مع الاتجاهات السلبيَّة، فإنَّهما قد يفوران رافضين وبغضب هذا الإدعاء، مع أنَّه الحقيقة؛ ولذلك الحكم بالظَّاهر على الظَّاهر قد لا يؤدّي إلى الصّواب، والظَّاهر قد يكون شكلًا وصورةً، وقد يكون قولًا أو سلوكًا، ولكل منهما خطوات ينبغي أن تراعى في تقصي الحقائق، ففي العلوم الطبيَّة والتحليل النفسي لا يتوقف الطبيب أو الأخصائي النفسي والاجتماعي عند المشاهد والظَّاهر إلَّا باعتباره نقطة الانطلاق لبداية الدراسة، أو التشخيص، أو العلاج؛ لأنَّ الحكم على الظَّاهر بمشاهدته ووصفه، أو تحليله وكأنَّه غاية في حد ذاته، قد لا يؤدّي إلى نتائج علميَّة، يمكن الاعتداد بها والاعتماد عليها، والظَّاهر قد يكون مشاهدًا، وقد يكون محسوسًا (ملموسًا ومدركًا)، مثل ارتفاع حرارة المريض التي باللمس يتم التعرُّف عليها، وعند قياسها يمكن تحديدها بدقة، ولكن الذي يود أن يعرفه الطبيب، أو الأخصائي النفسي والاجتماعي هو معرفة الأسباب التي تكمن وراءها، وعند مشاهدة الطبيب أو الأخصائي النفسي والاجتماعي المريض مُصفر الوجه، هل يتوجهون إلى معالجة الاصفرار الظَّاهر أم إلى البحث عمَّا يكمن وراءه من علل، وأسباب؟ لذلك يكون الاصفرار كظاهر مؤشّرًا إلى البحث عن كامن؛ لأنَّ الاصفرار مسبّب، وبما أنَّه مسبّب، إذن: لا بدَّ وأن تكون له أسباب، ومسبّبين له؛ ولذلك قد تكون الأسباب هي الأخرى ظاهرة بعد التعرّف عليها، كأن يكون سبب الاصفرار هو مرض عضوي لا قدر الله في الكبد، أو المرارة وغيرها من المسبّبات الظَّاهرة، وقد يكون السّبب غير ظاهر، كأن يكون سبب اصفرار الوجه هو الخوف من الامتحان، أو من نتائج مترتّبة على ارتكاب فعل يعاقب عليه الوالدان والقانون أو المجتمع، أو نتيجة مواقف قد تُعرِّضه إلى الهلاك، وهو لم يستطع اتخاذ قراره بحريّة

حيالها، مثل: الجندي في جبهة القتال الذي تصدر له أوامر دخول المعارك، دون أن يكون له رأي أو حتى وجهة نظر في ذلك.

بناء على ما تقدّم: فإنَّ إشكاليَّات البحث كثيرة ولا يمكن أن تنتهي؛ ولهذا البحث لا ينقطع؛ فمهما تطورت المشاكل وتعقدت تطورت في مقابل ذلك أساليب البحث العلمي وطرقه ومناهجه وأدواته الممكِّنة من البحث وحلّ الإشكاليَّات البحثيَّة.

تجاوز حيرة البحث العلمي:

تُعدّ الحيرة انشغال ذهني بحلقة مفقودة متى ما تمّ التعرُّف عليها فكريًّا تجلّت الرّؤية بين ما يشاهد ويلاحظ، وتلك العلاقة المجهولة.

والسُّؤال كيف؟ دائمًا هو السُّؤال المحيّر، والإجابة عنه تُعدّ مرتكزًا فكريًّا، والمعرفة تكسر حاجز الحيرة كما تكسر الجمود الفكري ساعة الإجابة عن التساؤل: (كيف؟) وأوَّل محيّرٍ للفكر الإنساني: كيف خُلق الكون؟

من الذي خلقه؟

أين الخالق؟

ما هي قوانين الخَلق؟

ما هي صفات الخالق؟

إنَّ التساؤل عن الكيفيَّة التي خُلق الكون عليها تقود إلى معرفة خالقه، ومعرفة الخالق لا يمكن أن تتأتى إلّا بمعرفة صفاته؛ فالذين قالوا: إنّ الكون خالق

نفسه، فقولهم يقبل لو عدّدوا لنا صفات الكون الخالق نفسه، ولكن إن لم يجدوها (لم يجدوا له صفة)؛ فكيف لهم بالبقاء على ما يقولون؟

فالكون لا يمكن أن يكون كونًا، لو لم تسبقه صفة بقائه وجودًا، ومن يجيز غير ذلك وكأنّه يودّ أن يقول: متى ما وجد المخلوق وجد الخالق، ولكنّهم إذا أجازوا ذلك عن وعي لأدركوا أنّهم قد فصلوا المخلوق عن الخالق، ومن هنا، لن يصبح الكون إلّا على حالة واحدة: إمّا خالق، وإمّا مخلوق، وفي كلتا الحالتين: فإن كان خالقًا فهو المسيِّر، وإن كان مخلوقًا؛ فهو المسيَّر، ولأنّ المخالفين هم من علماء الفيزياء؛ فهم متى ما فكّروا في صفات خالق نفسه عرفوا أنّه على غير صفة، وفي المقابل إن قالوا: له من الصّفات ما له؛ فعليهم بعدّها فإن عدّوها، أحصوها، وإن أحصوها فلا يمكن أن تكون صفات خالق؛ ذلك لأنّ صفات الخالق لا تعدّ ولا تحصى، وإلّا هل هناك من يعدّ نعمه؟

هكذا هي الحيرة ترتبط بالشيء من محطّة فكريَّة إلى محطّة أخرى؛ فهي قد ألمت أوَّل ما ألمت بالإنسان الأوَّل (آدم) عندما وجد نفسه في حيرة بين خيارات ثلاثة: أمر الله ونهيه، وإغواء إبليس، وما اشتهته نفسه؛ فظل على حيرته حتى عصى ربّه، وهنا، وُلدت من بعد الحيرة حيرة لم تلد حلّا؛ فألمت به ثانية عندما اكتشف أنّه أصبح في دونيَّة مخالفة لطبيعة خَلقه في أحسن تقويم؛ فظل في حيرته حتى استجاب الله لاستغفاره وتاب الله عليه.

وهكذا هي الحيرة من بعده ظلّت تلاحق بنيه؛ فألمت بأحدهم ساعة قتله أخاه، ولم يعرف (كيف) يواري سوأته، حتى بعث الله غرابين؛ فتقاتلا، ثمّ دفن

القاتل قتيله في حفرة قد حفرها لهذا الأمر، حينها عرف ابن آدم ما يخرجه من حيرته، مع أنّ حيرة القتل ظلّت تلاحقه؛ إذ لا إمكانيَّة لإدارة العجلة إلى الخلف.

ومن ثمّ، وجب التفكير فيما يُفكّر فيه بنو آدم قبل أن يقدِموا على الفعل والعمل والسُّلوك؛ حتى يتجنّبوا الوقوع فيما يحيّر في لحظة المفاجأة، أو يؤلم، أو يؤزّم العلاقات؛ فتلك الأساطير في زمانها كانت والحيرة فيها، وفي المقابل جاءت الإنباءات والرّسالات لتزيح الحيرة، وتجيب عن المجهول، ومع ذلك ظلت الحيرة في كلّ المجالس والمجادلات والمحاجّات التي لا ينفكّ غموضها إلّا بمعرفة الإجابة عن السُّؤال: (كيف؟) الذي سيظل محيّرًا حتى بلوغ المعرفة عن بيّنة.

فظلت الحيرة الفكريَّة تراود عقول النَّاس من أجل بلوغ ما يفكّ أزماتهم، وينهي آلامهم، ويمكّنهم من الاختيار المشبع للحاجات المتطوّرة تنوّعًا، سواء أكانت حاجات فكريَّة، أم سياسيَّة، أم اقتصاديَّة، أم نفسيَّة، أم اجتماعيَّة، أم ذوقيَّة، ومع ذلك سيظل السُّؤال (كيف؟) يلاحقنا وهو في حاجة للإجابة، أي: كيف تشبع الحاجات الفكريَّة؟ وكيف تشبع الحاجات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والذوقيَّة؟ وهنا، يكون أمر الإجابة بين أيدي النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم؛ حيث تقدير الخصوصيَّات، ووجوب الإرادة.

والسّؤال: ماذا تعني الحيرة البحثيَّة؟

تعني مما تعنيه أنَّ غموضًا يكاد أن يحجب الرؤية بين الهدف والمستهدف، فالباحث الذي يريد أن يضيف شيئًا، أو يستكشف شيئًا لم يسبقه سابقٌ، لا بدَّ أن يكون بين يديه جزءٌ من المعلومة وليس لديه الجزء الآخر (الجزء الغائب أو

المفقود) وبالتّالي سيكون في حيرة من أمره وموضوعه المحيّر، مما يستوجب المزيد من القراءة والبحث في المتغيرات ذات العلاقة.

والحيرة بطبيعة الحال كلما اشتدت وضاقت النفس منها قربت من الانفراج؛ ولذا فالباحث الذي يستشعر نفسه وكأنَّه يكاد أن يختنق مما ألم به من حيرةٍ يعرف أنَّه أصبح على مقربة من معرفة المتغيّر الذي له علاقة بفك التأزُّم.

ومع أنَّ الحيرة لا تصمد أمام التحدِّي فإنَّ الباحث في الصفوف المتقدمة يحتاج إلى مشرفٍ يرشده إلى قراءات ومناقشات تفتح أمامه آفاق المعرفة العلميَّة التي تمدّه بالمزيد العلمي والمعرفي؛ ولذا فالحيرة العلميَّة لا تواجه إلَّا الجادين؛ ولهذا ينبغي أن نعرف أنَّ الحيرة هي درجة متقدّمة من التفكير العلمي المركَّز الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظَّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين؛ حيث لا خروج من الحيرة العلميَّة إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكاليَّة لا مفر من البحث فيها إن أردنا حلًّا.

إذن: الحيرة هي نتيجة الشّكّ وعدم وضوح التخمينات تجاه الموضوع المستهدف بالبحث، وهي مرحلة مهمّة في التفكير الإنساني عند انتقاله من الشّكّ إلى اليقين، ويقال للإنسان الذي يضل طريقه: إنَّه حيران؛ نتيجة عدم تحديده الاتجاه الصّائب الذي يود السير فيه.

وعليه:

لا حيرة إلَّا عن اهتمام، ولا خروج منها إلَّا وعيًا بما يجب، وتجنّبًا لما لا يجب؛ ذلك لإنَّها انشغال الفكر فيما يفكّر فيه اهتمامًا؛ ولهذا فلا إمكانيَّة للخروج

من الحيرة إلَّا بعد إدراك ومعرفة لما كان مجهولًا على التمام، ولا إمكانيَّة لصوغ مشكلة البحث وتحديد أبعادها ومراميها إلَّا بخروجٍ من متاهات الحيرة بعد التمكن من معرفة فكرة تخلص منها ببلوغ غاية.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، ولكنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة من دون حيرة تسبقها هي ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتولد مشوّهة، وبالتّالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف لتحقيق الأغراض ارتقاء.

ومع أنَّ هذا الأمر يعد سالبا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاء، ولكنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، ولكنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة المقاصد المحفّزةِ على حيرة جديدة، من بعدها حيرات تُمكّن من تحقيق أغراض أكثر نفعا.

ولا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلٌّ، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالة أو إعجازا أو ممكنًا؛ حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة، تلد له حلّا يمكّنه من تغيير أغراضه، أو إضافة الجديد إليها.

ولا يعني ذلك أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها غرضٌ وحلٌّ، وهذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه؛ حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غرض الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

أهداف البحث العلمي:

الأهداف أولويّات معرفيّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو إستراتيجيّة، وتكمن مقاصد من ورائها، سواء أكانت مقاصد شخصيّة، أم وطنيّة، أم إنسانيّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّها المدى الممتد من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات، والاتجاهات العلميّة والفكريّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

فالأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفةً أو بناءً وإعمارًا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة

للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يعملون أو يضحّون من أجلها.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائما عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المرجوة[9].

إذن: الهدف هو الواضح البيّن للملاحظة والمشاهدة والإدراك، وهو الذي يُمكن تحقيقه، وهو كلّ شيء يحدّد ويتم التوجّه إليه حتى يُنجز، وهو الذي كلّما

[9] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيّة مفاهيم ومصطلحات، المكتبة المصرية، القاهرة، 2018م، ص 255.

توجهت إليه ودنوت منه اقترب إليك؛ ولهذا فالأهداف يتم الوصول إليها مباشرة دون وسائط.

والأهداف تحدّد بدقّة وتزداد وضوحًا بطي المسافات الحائلة بينها وبين مستهدفِها؛ فالصياد على سبيل المثال: لا يرمي صيدتَهُ (هدفه) إلّا بعد ظهورها بوضوح أمام نظره دون حائل؛ وذلك بعد أن يُسدّد تجاهها عن قصد وإصرار، وبعد دراية بالإحداثيات التي تجعلها في مدى الرّماية.

في الزّمن الماضي كانت الأهداف تحدّد عن قرب وبالعين المجرّدة كالصياد وصيدته، أمّا اليوم في عصر التقنية فالأهداف بعد أن تحدّد بوضوح عن طريق الأقمار الاصطناعيّة تُرمى بالصواريخ العابرة للحدود؛ ولذلك مع أنَّ الهدف يوضع في مواجهة مستهدفه بالرّماية أو الانجاز، فإنَّ هذه المواجهة قد لا تكون وجهًا لوجه.

في غزو العراق كانت جميع المعسكرات أهدافًا محدّدة من قِبل الخصم المعتدي، ومعظمها دُمِّرت عن بعد بالرّماية الصاروخية، وبعد دخول القوات الغازية أرض العراق بدأت المواجهات بين المقاتلين كأهداف مباشرة، ما جعل الأهداف تقترب من الإنجاز كلّما دُمِّر معسكرٌ، أو قتل جنديٌّ؛ ولذا فإنَّ المعسكرات وأماكن انتشار الجنود والمقاتلين تعدُّ أهدافًا بالنسبة إلى المتحاربين.

والأهداف في البحث الاجتماعي هي التي تحدّد وتصاغ بكل وضوح وتحمل في محتواها مضامين الموضوع الذي تُصاغ له الفروض والتساؤلات على ضوئها، وهي التي تُنجز بإتمام البحث في الموضوع أو المشكلة المحمولة فيها؛ ولذا تُقوَّم رسائل الماجستير والدكتوراه والمشاريع البحثيَّة بما تحدّده من أهداف ومدى إنجازها؛ ولهذا

فالأهداف تحدّد، ويتم الإعلان عنها، ويتم الإقدام على إنجازها أوّلا بأوّل، ففي غزو العراق أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة عن أهدافها وحدّدتها بكل وضوح في إسقاط صدام حسين، والقضاء على حزب البعث في العراق، وإقامة حكومة بديلة، ولقد أنجزت هذه الأهداف المحددة وفقًا لِما هو مُعلن مسبقًا.

وفي طرق البحث إنجاز الأهداف يدلُّ على إنجاز المهمة البحثيَّة التي تفتح آفاقًا جديدة أمام البحَّاث للتطوير والتعرّف على الجديد واستكشافه ببحوث أخرى، ولكن الذي حدث في العراق أنَّ الأهداف أنجزت والقوات الأمريكيّة وقوات التحالف لم تخرج من العراق، ما يدل على أنَّ لهم أغراضًا لم يعلنوا عنها صراحة من وراء إنجازهم لتلك الأهداف المحددة.

إنجازُ الأهدافِ يصنع المستقبل:

الأهداف لا ينبغي أنْ تكون مفاهيم مجرَّدة، بل يجب أن تكون على علاقة بالواقع دون أن تكون منغلقة عليه، أي: ينبغي أن تنطلق منه إلى مستقبلٍ أفضل وأجود، وإلَّا ستكون مضيعة للوقت والجهد والإمكانات.

والمستقبل لم يعد زمنًا في ذاته، بل: (زمن يحتوي المأمول)، وهو الذي فيه تحدد الأهداف وتنجز، وترسم الخطط وتوضع الإستراتيجيَّات من أجل بلوغه عملًا وإنتاجًا ونهضةً وتقدّمًا؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلٌ سلبيٌّ. والمستقبل غير منزوٍ عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول، وهو الذي من دونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل المستقبل ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية، التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربةً ومنهجًا ووسيلةً، وهذه لا تكون إلّا وفق أهداف موضوعيَّة قابلة للإنجاز.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من إنجاز الأهداف، وبلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ (الذي فيه يكمن الحلّ المشبع للحاجات المتطوّرة).

ولأنَّ لكلّ قاعدة استثناء؛ فلا إمكانيَّة لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاءً بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء هدف تدفعه الرغبة والأمل؛ فسيظل أملا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجًا وإعمارًا وبناء وبحثا علميًّا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ تحديد الأهداف في الزّمن الحاضر، يعني: إنّها لن تنجز إلّا في الزّمن المستقبل، الذي يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة، تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة

التي وضعت له اللبنات الأولى؛ فالمستقبل يعد الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل، والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها، أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة، التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلولٍ واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر، وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضٌ معيّنٌ يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤية المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية لكثير من الطموحات، وحتى التداعيات التي تخلّف انفراجا وإن كان وقتيا فإنَّه قد يكون سببًا في حلّ كثيرٍ من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة؛ ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن

هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة، التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر، وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلٍ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبّيًا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه أن يحصل؛ كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة، وما بعدها ارتقاء.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورةُ المطلوبةُ واضحةً وملبّيةً لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرسُ في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة، يكون مبعثها متزامنًا مع التفصيلات، التي يكمن فيها الحذر من أجل أن تنجز الأهداف بلا عوائق، ويتحقّق المستقبل الأفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائيَّة تتحكّم بشكلٍ ينمّ عن وجود ارتباطٍ فعليٍّ بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته وإنجاز أهدافه؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزًا على خلق استمراريَّة في البحث تتّجه دائمًا نحو شمولية يتّسع مداها؛ كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليديَّة، التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفٌ للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأهداف تتجدّد، والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكًا وفوضى معرفية لا تكون

نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيًا وحاضرًا يقود بسلام إلى تطلّع مأمول فيه الأهداف تُنجز ؛كونه لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق، فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرًا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له أهدافٌ واضحةٌ، وقاعدةٌ يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة، سواء أكانت نظرية أم عمليَّة؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز ترغبه.

وعليه: يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعددةٍ تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن ينجزه أو يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية فإنَّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلٍ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلًا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات، التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل، الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرا مبنيا على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل، أو إيجاد الجديد، الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء، التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل؛ فيها الأهداف تنجز أوَّلًا بأوّل، وفيها التقدم يتولّد أوَّلًا بأوّل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع؛ كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسماتها الإيجابيَّة المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتًا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزًا مهمًّا في المعالجة، والوقاية، ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة، التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود، من أجل بلوغ مستقبل فيه تنجز الأهداف المحدّدة والسياسات المرسومة، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرًّا يمنح الإنسان وعيًا مستمرًّا أيضًا؛ ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة، التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلًا مستمرًّا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد، وكلّ ما هو بديل للحاصل[10].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر؛ ولهذا فعلينا به هدفًا وتخطيطًا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة، التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا، حتى وإن

[10] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 ـ 135.

كان غير متوقّع؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول، وكشف خفاياه[11].

الغرض: purpose:

الغرضُ ما في النفس من مقصدٍ تجاه الآخر، أو تجاه الباعث، أو تجاه الغاية المأمولة، وهو المخفي وراء إنجاز الهدف، أي: وراء كلّ هدف غرض (قصد) لا يعرفه إلّا من حدّد الهدف لنفسه أو للآخرين.

ومع أنّ الغرض لا يُعلن عنه، ولا يطلب تحديده كما هو حال الهدف، ولكنّه بالنسبة إلى من يتعلّق الأمر به واضحٌ وجليٌّ، فالباحث العلمي لا يمكن أن يُقدِم على تناول موضوع بحثه إلّا بعد أن يحدد أهدافه البحثية بكلّ وضوح، وفي المقابل لا أحد يسأله عن غرضه (القصد) من وراء اختياره وتناوله لموضوع البحث أو مشكلته الدراسية؛ فهذا الأمر يخصّه وحده ولا دخل لغيره فيه.

فالغرض لا وجود له في ميادين المشاهدة والملاحظة، بل وجوده ضمني مخفي في نفس الباحث، ولكنّه مترتب على الهدف الذي كلّما أنجز استشعر الباحث بتحقق غرضه، فالغرض أثر تحقيقه معنويٌّ، أمّا الهدف فأثر إنجازه ماديٌّ.

ولأجل ذلك: ينبغي لنا أن نغوص في عقولنا تدبّرا حتى نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها، وبين تحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تُحدَّد تفكيرًا قبل أن تصاغ أهدافا قابلة للإنجاز، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي ارتقاء أن يتمّ التفكير في أهداف أهم من

[11] عقيل حسين عقيل، تقويض الإرادة تحد، القاهرة، المصرية للطباعة والنشر، 2020م، ص 69.

التي أنجزت، ثم التفكير من بعدها في أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية[12].

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي لأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة التفكير في تحديد الأهداف مؤسّسة على التفكير في المنجز قبل أن ينجز، ثمّ التفكير في كيفية إنجازه، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي لهم أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن وراء الغايات مأمولٌ.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع البعض يحدّد أهدافه، ولكنَّه لا يفكّر في كيفية إنجازها ولا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية، وكذلك هناك من يحدّد أهدافه، ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالأهداف ارتقاء ينبغي لها أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ إذ لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

---

[12] عقيل حسين عقيل، تقويض الإرادة تحد، القاهرة، المصرية للطباعة والنشر، 2020م، ص 88.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: التفكير في كلّ شيء يدفع ويحفّز على الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو يمسّ معتقدا دينيًّا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فلا يفكّر فيما يجب؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين، والمزيّنين، والمضللين، التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها، كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

والغرض: هو الذي يترتّب وجوده وتحقيقه بعد إنجاز الهدف، فهو لم يكن مباشر المواجهة كما هو حال الهدف، بل إنَّه المترتب عليه؛ فالباحث الذي يتم بحثه بإنجاز أهدافه البحثية المعلن عنها تُجاز رسالته بعد مساءلة موضوعيَّة عن أهدافه وعلاقتها بالنتائج التي بها أتم بحثه أو رسالته، ولا يُطلب منه من قريب ولا من بعيد أن يفصح عن غرضه من وراء هذا الإنجاز العلمي؛ وذلك اعترافا بأنَّ ما يوجد من أغراض من وراء الأهداف البحثية متعلق بخصوصيَّة الباحث وظروفه وأمانيه التي يود أن يتوجّه إليها بعد ذلك، وهذه ليست من اختصاصات المشرفين أو المقوِّمين للبحث إلَّا إذا كان أحدهم فضوليًّا، ومع ذلك قد لا تقال له الحقيقة من قبل الباحث، وهذه من حقه دون غيره.

وبما أنَّ البحوث العلمية تُنجز بإنجاز أهدافها؛ إذن: الأغراض المترتبة عليها متى تتحقق؟

إنجاز رسالة الماجستير أو الدكتوراه بالنسبة إلى الباحث والمشرف عليه هي هدف يؤهله لأن يعمل في ميادين التخصص الدقيق، ويفتح أمامه فرص العمل في

مجالات تخصصه، وسيظل الغرض معلّقا إلى أن يتمكّن المتخرّج الذي أجيزت رسالته وأعلن عن نيله الإجازة العالية أو الدقيقة بحصوله على فرصة عمل ومباشرته؛ لذلك يعد تحقيقًا للغرض الذي كان مختفيًا وراء نيله الإجازة الدّقيقة الدكتوراه (الهدف).

وهكذا على سبيل المثال: عندما تَشبُ الحروب بين دولتين فإنَّ قوات كل منهما تُعد هدفًا لجيوش الدولة الأخرى، ما يجعل كل منهما يستهدف المعسكرات وأماكن انتشار المقاتلين، وأماكن تخزين الأسلحة، وقوات الإمداد الداعمة، ومراكز القيادة؛ ولذا كلما دمَّر معسكرًا أنجز هدفًا. وقد يتساءل البعض: لماذا تُستهدف المعسكرات وأماكن تخزين الأسلحة ومراكز الذخيرة والقيادة بالتدمير أو الاحتلال؟ فتكون الإيجابة: من أجل إضعاف الخصم وهو الغرض من وراء تدمير أو احتلال المعسكرات، أمَّا الغاية فشيء آخر.

أين تكمنُ صعوبةُ تحقيقِ الغرضِ؟

أقول:

صعوبته أنَّه لا يتحقّق مباشرة، فهو دائمًا متكئٌ على إنجاز الهدف، فإذا لم تنجز الأهداف عملا أوَّلًا بأوّل لا يمكن أنْ تتحقّق الأغراض؛ لأنَّ الأغراض مجموعة المطالب المرغوبة والمأمولة، وهذه في ذاتها لا تزيد عن كونها مفاهيم تستوجب ميادين؛ لتتحقق فيها عبر الأهداف المرسومة التي في مضمونها تحمل تحقيق الأغراض.

وعليه: فالهدف يشار إليه أنّه هناك بعيد، أمّا الغرض فيوجد هنا في العقل فكرة، وفي النفس مطلبًا مرغوبًا؛ ولذلك العقل في حيويّة إنتاج الفكرة كلّما كانت المقاصد (الأغراض) متحدّية لواقعٍ لا يرضي النفس، فتجود الذاكرة على النفس بما

يخرجها من الصعاب، وهنا فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا خوف من مواجهة الصّعب، بل الخوف أن لا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقليَّة معه كلّما حدثت عن تدبّر بفكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء، وبخاصة عندما تكون الأغراض غايتها الارتقاء؛ ولذا ستظل الفكرة عقليَّة إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والذي يتجسّد في العمل والسّلوك.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، ولكنّه أيضًا منبع الأغراض، ومع أنّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، ولكن الأغراض تتعلّق بالأهداف الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسئولية، ومن لا يمتلكها فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غرض فكرة، ووراء كلّ فكرة شيء جديد.

الغاية aim:

الغاية نتاج الفكرة بعد استقراء واقع، وهي لا تكون إلا مترتّبة على تحقيق غرض مترتّب على إنجاز هدف، أي: لو لم يرسم الإنسان أهدافًا له، ويقدم على إنجازها، فلا يُمكن أن تتحقّق له أغراضٌ، وهذا يعني: لو لم تكن للإنسان أغراض معيّنة وراء الأهداف (سابقة عليها)، ما كانت له أهداف واضحة محدّدة، وفي الوقت ذاته لو لم تكن له غايات بعيدة المنال، ما كنت له أغراض قابلة للتحقّق.

إذن: الغايات بعيدة المنال مولود الفكرة أوّلًا، ثمّ الأغراض القابلة للتحقق ثانيًا، ثمّ الأهداف القابلة للإنجاز ثالثًا، هكذا الفكرة تولد الفكرة، أمّا من حيث التطبيق فالأهداف أوّلا، ثم الأغراض تتحقق، ومن بعدها الغايات تُبلغ.

ومع أنَّ الغايات بعيدة المنال تبلغ، لكنّها لم تكن النهاية كما يظن البعض، بل من وراء الغايات البعيدة مأمولات لا بدَّ أن يتمّ نيلها؛ ولتبيان ذلك، أقول:

الغرض تدفعه الفكرة رغبة ومطلبا تجاه ما يحقّق الارتقاء، أمّا الغاية فتدفعها الفكرة بما يحقّق المكانة والمنزلة، أي: إنَّ في الغاية الطموح يتمدّد إلى نيل المكانة رفعة.

والغاية هي: ذلك الشيء البعيد الممكّن من بلوغ المأمول، ولكن بلوغ المأمول لا يعني نيله، فعلى سبيل المثال: عندما يكون هدفك الحصول على المؤهل العلمي الدكتوراه، فلا بدَّ لك من التعليم حتى تتخرّج، وحينها يصبح هدفك قد أنجز، والسؤال: لماذا أنجزت هذا الهدف عزيمةً وإصرارًا؟ فالإجابة عنه تُظهر الغرض الذي لا يعرفه إلّا من أنجز هدفه بالحصول على الدكتوراه جدارة، أي: إنَّ الغرض لا يكون إلّا مختبئًا خلف الهدف المنجز، وليكن افتراضًا: أنّه بغرض الحصول على فرصة عمل ذات دخلٍ لائق، هذه الإجابة المفترضة تتطلّب طرح سؤال آخر: وما الغاية التي وراء حصولك على فرصة عمل مُجدية الدخل؟ الإجابة هي الأخرى لا يعرفها إلّا الذي أنجز هدفه وأوضح غرضه، ولتكن افتراضًا: الترقي في دواليب الدّولة حتى بلوغ المستويات القيمية الممكّنة من بلوغ المكانة، أي: إنّه أصبح على أعتاب نيل المكانة، ولكن لم ينالها بعد (إنَّها مرحلة الانتظار أقدميَّةً أو زمنًا). ومن ثمّ يولد سؤال آخر: وما هو المأمول؟

الإرادة تمكِّن من بلوغ الغايات:

الغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول

والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل؛ حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله، أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرًّا وجهرًا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق؛ فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن؛ فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[13].

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ

[13] الذاريات: 47.

خَلْقٍ نُعِيدُهُ}14، وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، لكنّهم يتّفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء؛ ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه، أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة للتجاوز، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِّلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول، أو كيف ينال شيء منه أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة، أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

---

[14] الأنبياء: 104.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول، الذي يستوجب بعد بلوغه غاية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذًا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية؛ وهو التعامل مع المأمول كسبًا، وإشباعًا للرغبة، أو الشّهوةً أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّدة وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن: ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية: (بلوغ الأراضي الألمانية)، ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله، وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد الموضوعي؛ ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول، التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تُبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصّعاب، وصبرٍ لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

نيل المأمول:

المأمول: ما تأمل النفس تبوُّءَه رفعة ومكانة، وهو ما لم يكن مستحيلًا؛ حتى وإن كانت السُّبل المؤدية إلى نيله صعبة.

والمأمول إرادةً ليس خيالًا، بل الممكن نيله أو الفوز به في دائرة المتوقّع، وتصاغ الأهداف من أجله فتُنجز، وتحدّد الأغراض في سبيله فتتحقّق، وتضمر الغايات من أجله فتُبلغ، ومن ثمَّ يتيسّر للمنال فيتم نيله.

إنّه ذلك الشيء المرتقب الذي لم يكن مجهولًا بالنسبة إلى من يأمله، إنّه مولود الأمل فكرة ورغبة ومطلبًا، بل وحاجة لإشباع حاجة؛ ولهذا يتوق إليه باشتياق، وينتظر وقت نيله بأملٍ لا يفارق.

وعليه:

فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعايةً وعنايةً، وحرصًا وعملًا جادًّا، فتحشّد الإمكانات وتبذل الجهود، من أجل بلوغه ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظٌ على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولًا من بعده مأمول.

والمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو، فإذا جعلنا المأمول منتظرًا فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع، الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والإستراتيجيّات المؤدية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النفس، والإمكانات المتاحة، والتي يمكن أن تتاح إرادةً ورغبةً وضرورةً.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله: (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا)، فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجًا وافرًا، فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسًا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحًا ومتميّزًا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

والمأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصيَّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة: (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء؛ فمن له عقل لا يليق به إلَّا أنْ يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه، ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت

لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

فالمأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنْ يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

والمأمول يتعدّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصًّا وفقًا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامًّا؛ كونه مأمولًا عظيمًا، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند كثيرين، والمنافسة الحرّة وفقا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك فإنَّ بعض النَّاس قد يحترم نتائج الدستور وبعضهم قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنَّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمَّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز بها لا يكون إلّا خاصًّا؛ لأنَّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة

الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[15].

ولهذا؛ فالجنَّة مأمول ولم تكن أملًا، فالأمل مولود الفكرة، أمَّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء، ويعمل من أجل نفسه، ونيلها فوزًا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها، والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمَّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبًا عامًّا؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن؛ حتى يتحرر كما أملوه مأمولًا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية، وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذا المثال؟

[15] الأنعام: 135.

أقول: الأمل: تلك الحيويَّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج، وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمَّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعدُّ عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم (الجنة) حيث النعيم الدّائم، أي: إنّ المسلمين يميّزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم، وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف، أي: إنَّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا ففيها النعم تتحوّل فضلات، وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأملٍ عن رغبةٍ، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

والمأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ على الرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

ـ لم يكن خيالًا مجرّدًا.

ـ نتاج العمل الجاد.

ـ يتم نيله والفوز به.

ـ يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

ـ التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

ـ التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

ـ أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

ـ أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

ـ أن يحترموا؛ حتى لا يصبح الاحترام جبنًا.

ـ أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

ـ أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

ـ أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

ـ أن يحاججوا؛ كي لا تتسع دوائر التُّبَّعِ.

ومن ثمَّ: فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا، أو معرفةً، أو بناءً، وإعمارًا، وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافًا وخلافًا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراضٌ قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدد وفقًا لمأمول مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا ومنزلة.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي لنا الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً ومكانة، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافًا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنَّ تحديد المأمولات مثل تحديد الأهداف، يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدارٍ للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى نيل المأمول.

. تحديد المأمول يمكّن من التدبّر.

. وراء كلّ مأمول أمل.

. المأمولات لا تُنال إلّا بالعمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل، وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة، ومن ثمّ نيل المأمول؛ فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنةً وعلمًا ومعرفةً وإنتاجًا وحرفةً؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لم يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه، أو رؤيته، أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى؛ فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل، وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها، مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقًا لما كان يُظَنُّ أنَّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناءِ المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقًا جديدةً لتوليد آمال جديدة لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ الصّعوبة تكون في البداية، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهايةً: الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والآمال تُنال.

ولهذا؛ فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلما نال بنو آدم مأمولًا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمولٌ أهمٌّ، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض، من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية، ومن ورائها غاية مأمولة بها يتم تحدّي الصِّعاب.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، بعض النَّاس يصنعُ له أملًا، ولكنّه لا يعمل على نيله، وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملًا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات، وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاء ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض، تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أملٍ غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

ـ إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

ـ من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

ـ توليد الآمال يولّد آمالًا جديدة في عقول الجادّين.

ـ لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولٌ يفتح آفاقًا أمام مأمولٍ أعظم.

ـ تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

فروض البحث العلمي: hypothesis

تصاغ الفروض العلميّة في حالة توافر جزءٍ من المعلومة وفقدان جزء منها، والفرض هو تخمين مبدئي يتضمّن متغيّرين أو أكثر، ويشير إلى نتيجة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

وفي صياغة الباحث لفروض بحثه يرى ديكارت ألّا يغفل عن الآتي:

1 ـ يجب أن يكون في كل فرض شيء مجهول، وإلَّا لكان البحث عبثًا ليس إلَّا، فلو كان كل ما في الفرض معلومًا لما كان هناك داعٍ لإجراء البحث.

2 ـ يجب أن يتحدد هذا المجهول على نحوٍ ما وإلَّا لن نستطيع التوجه إليه دون غيره بالبحث والتفحص؛ مما يستوجب صياغة الفروض والتساؤلات صياغات احتماليَّة غير قطعية وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

3 ـ هذا المجهول لا يمكن أن يتعين إلا بواسطة شيء معلوم؛ حتى لا تكون الفروض فاقدة للسَّند الموضوعي لها على أرض الواقع.

وإلى جانب ما تم ذكره، يجب ألّا يغفل الباحث في صياغة فروض بحثه عن الآتي:

1 ـ ينبغي ألّا تصاغ الفروض على إثبات المثبت؛ كأن يحدد الباحث فروضه على الرّق في الإسلام؛ فهذا الأمر نتائجه معروفة مسبقًا، ولن يصل الباحث فيه إلى الجديد ما لم يربط ذلك بمتغيّرات أخرى تابعة، ولتكن ذات علاقة بدين غير الإسلام؛ فالفروض في أساسها تصاغ لإثبات ما لم يسبق إثباته من قبل.

ولهذا فالفرض لا يصاغ للمثبت، بل يصاغ لِما يود إثباته، وإذا ما تم الإثبات، وتحقق التجريب والمنفعة رُسِّخت القوانين، وبُنيت النظريّات، وصيغت المناهج التي بها تُفكك المعلومة أو تركب.

2 ـ ينبغي أن تصاغ جميع الفروض على قاعدة: (أنّ لكل مشكلة حلًّا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع)، وإذا لم ينطلق الباحث من هذه القاعدة فلا يمكنه صياغة فروض خاصة بالموضوع، ولن يتحفّز لتحقيق أهداف وبلوغ نتائج أو التمكُّن من اكتشاف القوانين والنظريّات التي تمد بالجديد المفيد والنافع.

وعليه: فالفرض دائمًا في حاجة لِمن يعمل على إثباته، أو نفيه، أو بطلانه؛ ولهذا فهو دائمًا في دائرة الممكن.

بناء على ما تقدَّم: لا ينبغي أن تكون الفروض (قطعيّة)، بل ينبغي أن تكون (احتماليَّة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع)؛ وذلك لأنَّ القطعي مثبت أمَّا الشّكّي فمحتمل.

وتتضمن الفروض في محتواها قرارًا مبدئيًّا لحلّ مشكلة، أو محاولة لحلها، أو إيجاد معالجات لمعضلة من المعضلات التي تعيق العلاقات الاجتماعيَّة أو تعيق الإنتاج أو الإدارة أو المهنة والحرفة أو تحول بين المرء وتكيُّفه أو توافقه الاجتماعي والنفسي أو لتحسين تقنية من التقنيات وتجويدها وغيرها كثير؛ ولهذا تعد الفروض مهمّة للبحث كأهميَّة العمود الفقري لجسم الإنسان من خلال انتظام البحث في فروضه الذي يشابه انتظام الجسم والتفافه على عموده الفقري.

والفروض العلميَّة تحمل أبعاد الموضوع فيها، وتعد تفسيرًا مبدئيًّا له (للموضوع أو للظاهرة قيد البحث) أي: إنَّها تحمل مضامين التفسير من خلال تحليل علاقاتها ومستهدفاتها؛ لكي يتم التأكد من إيجابيّة الإثبات أو سلبيّته أو بطلان الفرض بالنتائج المتوصل إليها، ويكون دور الباحث اكتشاف هذه الأبعاد وتبيانها للآخرين؛ لأجل أن يعرفوا أهميَّتها وأهميَّة الفروض في تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالات وبلوغ النتائج وتفسيرها؛ وذلك بالوقوف عن وعي على حقائق كانت مجرّد افتراضات.

ولذا فالفرض العلمي هو الذي تكون من ورائه حكمة ودلالة ومعنى، ويكون له بعدٌ علميٌّ ومنهجيٌّ، ويحقق نتائج تهم الذين أجري البحث من أجلهم.

ولأنَّ الفروض احتماليَّة قد تصدق تخميناتها وقد لا تصدق، وبالتَّالي لا يعدّ العمل بها إلّا في ضوء ما تحقّقه من نتائج؛ ولهذا يُعدّ العمل بها مشروعًا مبدئيًّا يقرّره الباحث، ويصوغه بوضوح؛ لكي يتمكّن من تتبّع خطوات منهجيَّة منظمة تُمكِّنه من إثباته.

ومع أنَّ للفروض أهميَّة كبرى تجعل الباحث ينتهج طريقًا بحثيًّا عن وعيٍ وانتباه وتنظيم رفيع في أفكاره وتسلسلها العلمي والمنطقي، فإنَّه ليس بالضرورة أن تكون لكل بحث من البحوث العلميَّة فروضٌ؛ فإذا طلب منا القيام ببحث للتعرُّف على المراحل التي تمر بها أسعار السُّوق للمنتجات المحليَّة فإنَّ ذلك لا يتطلَّب بالضرورة وضع فروض والتأكد منها، وهكذا في مجال البحوث الاستطلاعيَّة والبحوث المسحيَّة البسيطة.

توضع الفروض للتأكد من العلل والأسباب التي تكون وراء الظَّاهرة (قيد البحث)؛ للوصول إلى معرفة الحقائق والعمل على تفسير نتائجها، واستنباط الحلول المناسبة لها.

وبما أنَّ الفروض تتضمّن في محتواها متغيّرات، فإنَّ المتغيّر الواحد قد يأخذ قيمًا مختلفة، ويمكن ملاحظة التغيّرات التي تطرأ على قيمه أو السُّلوك المستهدف منه، وقد يأخذ المتغيّر الواحد قيمتين فقط كالنّوع مثلًا :(ذكر أو أنثى)؛ ولأنَّ المتغيّرات ألفاظ ورموز ذات دلالة بما تتضمنه من معانٍ ومعارف، فتكون الفروض هي العلاقة بين المتغيّرات المستقلّة والتّابعة والدخيلة والمتداخلة في مشكلة البحث أو إشكاليّته.

فإذا افتراضنا إنَّه: (كلّما ارتفع المستوى الثقافي، تحسّن المستوى الصّحي).

إذن: هذا الفرض اشتراطي، فإذا ثبت هذا الشرط كان الفرض صادقًا، وإذا لم يثبت البحث تحسن المستوى الصحي بسبب ارتفاع المستوى الثقافي، فيكون الفرض خاطئًا مما يدعو إلى إعادة صياغته من جديد وحسب ما توصل إليه الباحث من نتائج، وكذلك إذا افترضنا أنَّه: (كلّما ارتفع مستوى الدّخل ارتفع مستوى

التعلم)؛ فإنَّ هذا الفرض هو الآخر اشتراطي، أي: إنَّه اشترط ارتفاع المستوى التعليمي بارتفاع مستوى الدّخل، ولكن يجوز أن يثبت البحث بطلان هذا الفرض مما يجعلنا نقول: ليس كل تخمين صادق (ليس كل فرض صادقًا)؛ لأنَّه لو كان كل فرض صادقًا لما كان لنظريَّة الاحتمالات وجود، وما كان بين أفراد المجتمع كاذبون أو صادقون أو إنّهم على غير بيّنة.

وتتَّضح الفروض عند الباحث باكتمال الإطار النظري الذي يستمدّ من النظريّات العلميَّة وفقًا لمجالات التخصص؛ ولهذا يُعدّ الإطار النظري هو الخلفيّة العلميَّة التي تسند الإطار العملي أو المعياري بالحقائق والحُجج من مصادرها الفكريَّة والمعرفيّة التي تدلّ على وضوح الموضوع في ذهن الباحث أو الباحثين؛ ولهذا يجب على الباحث أن ينطلق من خلفيّة علميَّة واضحة؛ لكي يصوغ فروضه بدقة ووضوح متميّزين، وهو يؤسّس قاعدة علميَّة متينة يستند عليها في تناول القضايا العلميَّة وفقًا لأهداف بحثه وفروضه أو تساؤلاته الموضوعيَّة.

فإذا قسّم الباحث بحثه إلى جزأين:

1 . جزء نظري.

2 . جزء ميداني أو معياري كما هو حال البحوث التي تخوض في مجالات القيم التي تُستخدم فيها المقاييس العلميَّة التي تسندها الوسائل الإحصائيّة وأساليب عرضها للمعلومات المحللة والنتائج المتوصل إليها.

ولذا؛ فالبحث المتفرع إلى جزأين: نظري، وميداني، أو عملي أو معياري ينبغي أن تكون صياغة فروضه مجسدّة للعلاقة بين الإطار النظري والعملي أو المعياري أو الميداني، فعلى سبيل المثال: (كلّما قل دخل الرّجل قلت فرص العمل

أمام المرأة)، هذا الفرض قابل للإثبات وقابل للبطلان، وذلك باستكمال البحث في الإطارين: (النظري والعملي) فإن وصل الباحث إلى النتيجة الآتية: (إنَّ فرص العمل تزيد أمام المرأة عندما يقل دخل الرّجل)، إذن: نتيجة البحث قد أبطلت الفرض؛ ولهذا ينبغي للباحث أن يصوغ الفرض البديل الذي أثبت بالبحث، وهذا لا يعني أنَّ البحث لا قيمة له، بل إنَّه على الأهميَّة التي بها تم استبدال الفرض الرَّئيس الذي أبطلته نتائج البحث المتوصّل إليها بالفرض البديل.

فتكون صياغة الفرض البديل الذي حلّ محل الفرض الرّئيس على النحو الآتي: (كلّما قل دخل الرّجل قلت فرص العمل أمام المرأة).

وعليه: يصبح الفرض البديل بعد إثبات بطلان الفرض الأوَّل الفرض الرئيس أو الأساس في البحث، وظهور مثل هذا الفرض لم يكن غريبًا، بل إنَّه مألوف في العلوم بشكل عام الطبيعيَّة والاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ ولذلك يُعدّ البحث الميداني في مثل هذه الحالة تصحيحًا لفرض نظري، ونحن سبق وأن قلنا: إنَّ الفرض هو تخمين مبدئي، ولن يكون نهائيًّا إلّا بعد تجميع البيانات وتحليلها والوصول إلى نتائج واضحة ومحددة.

ولذا فإنَّ أساليب البحث من حيث الهدف تنقسم كما يقول الدكتور سمير نعيم إلى قسمين:

القسم الأوَّل:

"يهدف إلى التحقق من صدق أو خطأ فرض معين، ويتّضح هذا النّوع في الأسلوب التجريبي.

القسم الثَّاني:

ويهدف إلى التوصل لفرض يمكن التحقق منه في دراسة تالية أو لوصف حقائق قائمة"[16].

ويتّضح هذا النّوع في الأسلوب الاستطلاعي والوصفي، إلّا أنَّ اتباع المنهج التَّاريخي يُمكِّن الباحث من الإستفادة من هذين الأسلوبين الواردين في القسم الأوَّل والثاني.

الفرض العلمي يُعدّ مقدّمة من مقدّمات القياس، ونقطة البدء في كلّ برهنة وتحليل، وهو المنبع الأوَّل لكل معرفة، أي: الفرض هو الذي يستخدمه الباحث في تقصي الحقائق[17].

إذن: الفرض يرشد الباحث إلى أهدافه ويسترشد به في تبيان الحقائق من خلال انتظام البحث المؤسّس على الفروض الموضوعيَّة؛ فالفرض هو الذي يحمل البحث في أحشائه فمن الفروض تولد البحوث وتستمدّ القوَّة والرّصانة، ومن البحوث تستنبط الفروض والتساؤلات، وهكذا كلّ بحث جديد يصبح قديمًا باكتماله وخروجه إلى حيز الوجود، مما يجعل بحوثًا أخرى قد تترتب عليه من أجل استكمال جوانب أخرى تتعلّق به، أو من أجل دحضه بالحقائق الجديدة، أو نتيجة إثارته لقضايا مهمّة قد تستفز باحثين آخرين في مجاله، أو في مجالات أخرى.

إذن: الفرض هو الخيط المنظّم للبحث، وينتسب الفرض للبحث كما ينتسب الخيط للمسبحة، أي: لا تنتظم حبّات المسبحة مع بعضها البعض ولا

16 سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية. القاهرة: المكتب العربي للأوفست، الطبعة الخامسة، 1992، ص 132.

17 عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975، ص 160.

تظهر في شكل منظّم ما لم تنتظم في خيطها اللائق بها، والذي من دونه تصبح حبّات المسبحة متناثرة لا علاقة بينها، هكذا البحث لا يمكن أن تكون له وحدة بنائية تُظهِره في شكله اللائق به وتميزه عن غيره من البحوث الأخرى ما لم تكن له فروض خاصّة به.

ولهذا فإنَّ الفروض هي التي تُظهر وحدة البحث، والتي من دونها يكون الباحث مشتت الأفكار والمعلومات، فالفرض هو الذي يتمحور البحث عليه من البداية إلى النهاية بإطاريه النظري والميداني أو المعياري، ويُعدّ الفرض بالنّسبة إلى الباحث كالضوء بالنسبة إلى سائق السيّارة ليلًا، فالفرض ينير طريق الباحث اتجاه أهدافه كما ينير الضوء طريق السَّائق تجاه غاياته وهو يشق الظلمة، ويُعدّ الفرض تفسيرًا مبدئيًّا للظّاهرة أو المشكلة أو الإشكاليَّة (موضوع البحث) من خلال الأفكار التي استوعبها الباحث عن الموضوع، والرّؤية التي يعتقد إنَّها تبرهن على علله وتحقق أهدافًا محدّدة على الوضوح.

وهناك صيغتان أخريان لصياغة الفروض هما:

1 . صيغة الإثبات:

وهي التي تثبت وجود علاقة موجبة أو سالبة بين المتغيّرات الرئيسة في البحث، كأن يفترض الباحث: (توجد علاقة قويَّة وإيجابيَّة بين الإدارة والإنتاج). فهذه صيغة الموجب، أمَّا صيغة الإثبات السَّالب تنصّ على: (وجود علاقة سلبيَّة بين الإدارة والإنتاج).

2 . صيغة النّفي:

وتصاغ بأسلوب لا يثبت علاقة موجبة ولا سالبة، بل ينفي وجودها على الإطلاق بين المتغيّرين الرّئيسين في البحث، كالصيغة التي تنصّ على: (لا توجد علاقة بين أسلوب الإدارة الذاتيّة، وأسلوب الإدارة الحكوميّة).

هذه فروض مبدئيّة يجوز أن تثبت مصداقيّتها ويجوز ألا تثبت فتنفى، فإذا ثبتت كانت الفروض صادقة وإذا لم فإنّها لن، مما يجعل الباحث يعمل على تغييرها واستبدالها بالفروض البديلة.

أهميَّة الفروض:

مع أنَّ الفروض لم تكن مسلّمات فإنَّها تتضمّن دلائل علميَّة وتفاسير للموضوع تبرهن على اهتمامات وقدرات جادة في البحث العلمي المنظم ومن أهميَّة الفروض الآتي:

1 . إنَّها القاعدة الأساسيّة لتحديد أبعاد البحث والتي يعتمد عليها الباحث في تفاسيره وتحليلاته العلميَّة، والتي يبني عليها البحث بشكله النهائي.

2 . تعد الفروض المرشد الأساس للباحث تجاه المنهج والأدوات أو الوسائل التي ينبغي استخدامها في الميدان أو المعمل الذي يمكن أن يختاره ويساعده على تحقيق أهدافه.

3 . تُعبر الفروض عن وضوح البحث في ذهن الباحث وتشير إلى فهم متغيّراته.

4 . وضوح الفروض في ذهن الباحث دليل على وضوح أهداف بحثه.

5 . تشكّل الفروض وحدة البحث وترابطه العلمي والمنطقي وعدم تشتته.

6 . تبيّن الفروض اتجاهات البحث والباحث والتي تتضح بشكل نهائي عند إتمام البحث بصورته الشاملة.

7 . تربط الفروض المبادئ بالأهداف، من خلال ربطها المعطيات بالنتائج.

8 . تستمدّ الفروض من أهداف البحث التي تم استمدادها هي الأخرى من مشكلة البحث.

9 . تُعد الفروض هي المستوعب لفلسفة البحث والمحققة لأهدافه.

مصادر الفروض:

تتعدّد مصادر الفروض نتيجة تأثرها بالمناهل التي تؤخذ منها ومن هذه المصادر الآتي:

1 . مجال التخصص: كلّما كان الباحث ملمًّا بمجال تخصّصه ومتابعا لكل جديد يصدر عنه من بحوث ودوريات كان على وعي وانتباه بخفاياه وأسراره التي تستوجب البحث من الحين إلى الآخر، وتولد عنده الجديد.

2 . الاطلاع المتعمق: كلّما زاد إطلاع الباحث زادت علومه، وكلّما زادت علومه زادت معارفه، وكلّما زادت معارفه زادت خبراته وقدراته واستعداداته التي تؤهله للتجديد العلمي.

3 . ميادين العمل: قد يتعلّم الباحث علومًا نظريَّة يستفاد منها علما وثقافة، ولكن قد يستفيد بالمثل أو أكثر من ميادين العمل التي تزوده بمعارف جديدة وخبرات جديدة تساعده على البحث وزيادة المعرفة المنسقة، وتثير فيه روح التجديد والتوليد العلمي.

4- التأهيل والتدريب: كلّما تأهل الباحث أو تدرَّب على مجالات جديدة اكتسب خبرة أو ألم بعلم يطور به قدراته ومواهبه التي بدورها تولِّد عنده رغبة التطلع إلى الجديد والبحث عنه.

5 . الاطلاع العام: سواء من خلال وسائل الأعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية وشبكات المعلومات المتطوّرة، أو من خلال حضور الندوات والمؤتمرات العلميَّة، أو من خلال القراءة الحرة واهتمامات الباحث، فكل هذه عوامل مثيرة للأفكار والجدل الهادف والبناء ومحفِّزة للبحث العلمي.

6 . الأحداث والظواهر: مع أنَّ المعرفة العلميَّة منسَّقة ومنظَّمة فإنَّ للصدف دورا مهمًّا في إثارة الانتباه وشدّ أنظار المفكرين والمهتمّين، التي بدورها تدفعهم لإمكانية التعرّف على عللها وأسبابها وخفاياها وذلك من خلال اكتشاف العلاقة بين متغيّراتها.

7 . خيال الباحث: نظرًا لوجود فروق فرديَّة بين الأفراد من حيث القدرات والاستعدادات والمواهب والمهارات، فيظهر من بينهم المبدعون والمخترعون ذوو الاكتشافات الجديدة؛ فخيال الإنسان لا سقف يحده عن التفكير ولذا فإن خيال الباحث قادر على أن يتصوّر وأن يُثبت ما يتصوّره للآخرين بالبرهان العلمي عندما تكون خيالاته ثاقبة وهادفة ومنسقة وقادرة على أن تحدّد أهدافًا وتصوغ فروضًا.

شروط الفروض العلميَّة:

حتى لا يحدث الخلط بين ما هو علمي وما هو غير علمي ينبغي أن تُراعى اشتراطات العلم عند صياغة البحاث للفروض، ومن أهم هذه الاشتراطات الآتي:

1 . ألا يكون الفرض متعارضًا مع القوانين الطبيعيَّة والمسلّمات البديهية التي يحتكم النَّاس إليها.

2 . أن تكون الفروض قابلة للإثبات من خلال تقصي معطياتها وتحليلها وتفسير نتائجها، وألا تكون خيالية غير قابلة للقياس والتأكد العلمي.

3 . أن تكون واضحة اللغة والمدلول والمصطلح والمفهوم، ولا لبس فيها حتى لا يصاحبها الغموض.

4 . أن تصاغ بإيجاز، وتكون لها دلالة فالقضايا العلميَّة لا تتطلَّب الحشو والتعبير الزائد الذي بأسبابه يضيع الوقت والجهد مع فقدان الفائدة من ورائها.

5 . أن ترتبط الفروض بما سبقها من معارف سواءً لإثباتها أو لنفيها وعرض البديل أو الجديد عنها، فالعلم قوانين ونظريّات مما يستوجب الانتباه إليها حتى لا يقع الباحث في منزلقات خاطئة.

6 . ألّا تكون الفروض متناقضة من أجل الوصول إلى أهداف واضحة ومحددة.

7 . يفضل ألّا يقتصر البحث على فرض واحد، فكلّما كان أمام الباحث عددٌ من الفروض الموضوعيَّة فتح مجال البحث أمامه.

8 . كثرة الفروض قد تجعل البحث مشتتا، وتميل به عن التمركز على متغيّرات البحث ذات العلاقة.

وبعد أن استعرضنا هذه الشروط كما استعرضها غيرنا من قبلنا، يحق لنا أن نتساءل:

هل هذه الشروط تُعد سقفًا أمام تفكير الباحث الذي نحن نعارض وجوده (أن يوضع أمام الباحث سقفٌ)، أمْ إنَّها نقاط انتباه ترشده إلى ما يسعى إلى الوصول إليه علميًّا؟

الفرق بين الفرض والافتراض:

الفرض:

ـ الفرض يؤسّس على واقع.

ـ الفرض يؤسّس كما سبق تبيانه على معرفة جزءٍ من الحقيقة، ويبحث عن الجزء المفقود منها.

ـ الفرض لا يكون إلّا عن واقع تدعمه الشواهد.

ـ الفرض العلمي أمر واقع لا مناص منه؛ وذلك بتوافر جزءٍ من الحقيقة شاهد بين يدي الباحث وفقدان جزءٍ منها ينبغي البحث عنه استنادًا على المعلومات التي بين أيدينا.

ـ الفرض يُطلق على ما لا يُستغنَى عنه، أو ما لا يجوز تركه.

ـ الفرض صياغة احتماليَّة لوقوع الشيء في دائرة الممكن المتوقَّع.

ـ الفرض هو تصوّر لأمر ما، أو فكرة أو قضية ما، ووضعها أمام التفحُّص والتتبُّع والتقصّي الدقيق لمعرفة صدقها، أو خطئها، أو استحالة وقوعها، وإن وقعت فما هو المترتّب عليها سلبيًّا أو إيجابيًّا؟

ـ الفروض قابلة للإثبات والنفي بإجراءات البحث العلمي، وقابلة للاستبدال في حالة رفضها أو إثبات عدم صحّتها.

. الفرض قضيّة مصاغة في متغيّرات يُستدل بها على الجديد المفيد.

. الفرض يرتبط بالموضوع ولا يصوغه إلّا باحث.

الافتراض:

. الافتراض لا يؤسّس على الحقيقة، بل هو مجرد افتراض تخميني وليس عن حُسن تدبُّر.

. الافتراض لا دليل صادق له على أرض الواقع؛ ولهذا يصاغ كمثال لأجل التفسير أو لتبيان وجهات النظر.

. الافتراض لا يُحمِّل الباحث أيّ عبءٍ بحثي؛ ولذا فهو كوحدة واحدة لم يقع شيءٌ منه ولكن لمجرد الافتراض.

. الافتراض يجول في عالم الخيال.

. الافتراض هو ما يستغنى عنه ولا يؤثّر على مشكلة البحث؛ ولذا فهو يطلق على ما يُترك.

. الافتراض ضرب مثال.

. الافتراض متغيّراته لا تصاغ على قضايا بقدر ما تصاغ على معطيات مجرّدة في ذهن مفترضها.

. الافتراض لا يؤدّي إلى إضافة الجديد، ولكنّه صوغ تكراري يتردد على الألسن.

. الافتراض يرتبط بالأنا، وكل إنسان يمكن أن يصوغه كما يتراءى له.

صياغة الفروض:

تصاغ الفروض عندما يكون جزءٌ من المعلومة مُتعرَّفًا عليه من قبل الباحث وجزءٌ آخر منها غير متعرَّف عليه (غائب)؛ فيصوغ الباحث فروض بحثه بما يُظهر العلاقة المفترضة بين المعلومة (المعلومة) والمعلومة (الغائبة).

تساؤلات الباحث العلمي:

التساؤل: استفسار استغرابي في مضمونه حيرة وتعجّب، وتكون النتائج المترتّبة عليه استكشافيّة، كما هو الحال عند نيوتن الذي تساءل عندما شاهد التُّفاحة تسقط من الشجرة بقوله: (لِمَ لا تصعد التُّفاحة! لِمَ لا تصعد التُفاحة!) حتى تمكَّن من اكتشاف قانون الجاذبيَّة، وهو في مثل هذه الحالة لا شيء من المعلومات بين يدي نيوتن؛ ولهذا تُصاغ التساؤلات عندما تكون القضيَّة محيّرة، ولا شيء يتوافر من المعلومات الدالة عليها، وهذه دائمًا تكون نتائجها البحثيَّة إضافة جديدة.

ومع أنَّ التساؤل يستوجب بحثًا بغاية اكتشاف الجديد فإنَّه لا يكون إلَّا استغرابيًّا، أي: لا يكون منتجًا إلَّا في دائرة الممكن غير المتوقَّع، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[18] وقال: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[19].

وعليه: التساؤل لا يلاحق الإجابة كما هو حال السؤال، بل يسعى لمعرفة الجديد الذي لم تسبق معرفته؛ فالتفاحة وسقوطها على الأرض عُرف بالمشاهدة

---

[18] الغاشية: 17 . 20.

[19] يونس: 99.

المباشرة، ولكن القانون الذي على أساسه تسقط التفاحة على الأرض بالضرورة هو الذي ترتَّبت معرفته بعد تساءل نيوتن: لِمَ لا تصعَدُ التفاحة إلى أعلى!

وتأخذ التساؤلات الأوجه الآتية:

1 . في الأمور العظيمة التي يكون فيها الاختلاف والاستغراب؛ مصداقًا لقوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}[20].

2 . عندما يكون موضوع البحث جديدًا بالتمام، كما هو حال نيوتن والتُّفاحة.

3 . في البحوث النظريَّة أو المكتبيَّة، كما هو الحال في البحوث الفكريّة والفلسفيّة التي تجرى في الدِّراسات العليا.

وتصاغ التساؤلات على الكيفيَّة الآتية:

. ألا يكون ارتفاع مستوى الطلاق على علاقة ضعيفة بارتفاع مستوى التعليم.

. ألا يكون ارتفاع مستوى الأداء المهني على علاقة قويَّة وموجبة مع ارتفاع مستويي التعليم والتدريب.

. ألا تكون قوَّة علاقة الأم الموجبة بعملها سببًا في ضعف علاقاتها مع أبنائها وتجعلها سالبة.

---

[20] النبأ 1 . 3.

. لِمَ لا تُتخذ احتياطات تحقيق السَّلامة والآمان للمواطنين فيما إذا تكرر إعصارٌ كإعصار كاترينا في أمريكا، أو غضب الطبيعة كما كان الحال في تسونامي بإندونيسيا، والإعصار الذي ضرب أجزاء من عُمان وإيران 2007م.

. لأجل سلامة المواطنين من الغارات الحربية والهزات الأرضيّة المفاجئة لِمَ لا تصدر قوانين تستوجب بناء مساكن آمنة وفقًا للمواصفات الفنيَّة، وأن يكون من بينها على الأقل طابقٌ للسَّلامة تحت الأرض.

ولأجل معرفة المزيد في هذا المضمار علينا أن نميِّز بين مستوجبات صياغة التساؤلات ومستوجبات صياغة الفروض[21].

صياغة التساؤلات:

لإجراء البحوث العلميَّة تُصاغ التساؤلات في حالة غياب المعلومة كاملة كما هو حال نيوتن وعدم صعود التفاحة إلى أعلى وهي تسقط من الشجرة، فكانت نتيجة البحث في ذلك التساؤل: (لِمَ لا تصعد التفاحة إلى أعلى)!

وكانت نتيجة البحث التعرّف على الجديد وهو (قانون الجاذبيّة).

ولكيلا يختلط الأمر لبسًا وغموضًا بين مفهوم التساؤل واستخداماته كما تم إيضاحه، وبين مفهوم السُّؤال واستخداماته نقول:

[21] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية مفاهيم ومصطلحات، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م، ص 90 _ 92.

سؤال question:

صيغة لغوية ذات أدوات استفهاميّة عن معارف سابقة، وبه تستدعى الإجابات، مما يجعل الإجابة دائمًا سابقة على السؤال، ويجعل السؤال دائمًا في حالة ملاحقة للإجابة.

وعند عامّة النَّاس اعتقاد سائد بأنَّ السؤال دائمًا يسبق الإجابة، وهذا الأمر غير صحيح، فلو لم تكن الإجابة سابقة معرفيًّا ما كان السؤال عنها؛ ولذا لا سؤال إلَّا بعد معرفة، وإلَّا هل هناك من يسأل عمن لا يعرفه، أو عمَّا لا يعرفه؟؛ ولهذا يتم التعليم أوَّلًا، فتُعطى المقررات والمحاضرات، ثم بعد ذلك تجرى الامتحانات فتصاغ الأسئلة وفقا لِما تم إعطاؤه للتلاميذ والطلبة أو المتعلمين والمتدربين بشكل عام.

والسؤال لا يأتي بالجديد، بل يُعيد ما سبق وأن قيل أو أعطي أو طُبِعَ ونُشِرَ في دوائر المعرفة الواسعة، ومع أنَّ المعلومة (الإجابة) تسبق السؤال، فإنَّ التعرّف عليها قد لا يتم، أو لا يتم التوفيق في عمليات استدعائها من قبل الذي أعطيت له عندما تدخل دهاليز النسيان، أو عندما لا تكون في مستوى القدرات المتلقية والداعية لها.

وعليه: من يصوغ أسئلة لبحوث علميّة بغرض نيل إجازة عالية أو دقيقة فهو لن يأتي بالجديد، ويكون قد خلَّ بشرط أساس لنيل الإجازة العالية أو الدقيقة. فالسؤال كما سبق أن بينَّا يلاحق إجابة سابقة عليه، أمَّا البحث فينبغي أن يضيف شيئًا جديدًا، أو يأتي بالجديد المفيد، وهذا لن يتأتى إلَّا بفروض أو تساؤلات علميّة متطلِّعة للمستقبل.

تحديد مصطلحات البحث العلمي:

المصطلح هو المفهوم المتعارف عليه دلالة ومعنى، وهو الذي لا يتقيد بتعريف مطلق؛ مما يجعل لكل تخصّصٍ واهتمامٍ خاصيَّة تميزه عن غيره من التخصّصات والاهتمامات؛ ولهذا يجب على الباحث أن يحدّد مصطلحات بحثه الرّئيسة التي تتضمّنها الأهداف والفروض أو التساؤلات المستمدّة من الموضوع قيد البحث.

ولذا؛ فالمصطلح ذو مفهوم عام يستوجب التحديد، فعلى سبيل المثال: كلمة مجتمع ذات مصطلح عام فأيّ مجتمع أعني؟

. هل هو مجتمع المدينة؟

. أم إنَّه المجتمع القروي.

. أم إنَّه المجتمع الأوروبي.

. أم إنَّه المجتمع الماركسي.

. أم إنَّه المجتمع الرأسمالي.

. أم إنَّه المجتمع الإسلامي.

. أم إنَّه المجتمع العربي.

. أم مجتمع قبيلة من القبائل العربية.

. أم إنَّه مجتمع المطلَّقين المستهدفين بالبحث.

. أم إنَّه مجتمع الذين يعانون من تأزمات علائقيَّة في مجتمع من المجتمعات البشريَّة.

. أم إنَّه مجتمع البحث في مجال من مجالات التعليم أو ميادين السياسة أو الاقتصاد والثقافة.

. أم إنَّه مجتمع آخر لباحث آخر في خصوصيَّة صغيرة أم كبيرة؟

ولهذا؛ فإنَّ مصطلح (مجتمع) ذو مفهومٍ عامًّا إن لم يحدّده الباحث يجد نفسه أمام النُّقَّادِ على اللبس والغموض الذي لا يليق بالبحث العلمي الذي يعتمد على تحديد المصطلحات، حتى لا يعلق بأذهان القراء لبس أو غموضٌ.

وهكذا كلمة (هجرة) هي الأخرى ذات مفهوم اصطلاحي عام، فأيِّ هجرة أعني؟

. هل هجرة داخلية من القرى والواحات إلى المدينة؟ وأيّ مدينة أعني؟

. هل هجرة عكسية من المدن إلى الدواخل؟ وأيّ مدينة وأيّ دواخل أعني؟

. هل هجرة الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام والذين معه من مكّة إلى المدينة؟

. هل هجرة من الخارج إلى الداخل؟ أم إنَّها هجرة من الدّاخل إلى الخارج؟

. أم إنَّها هجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة؟

. أم إنَّها هجرة الطيور الموسمية، وأي طيورٍ؟ وأيّ موسمٍ؟

. أم أيّ هجرة أخرى أعني؟

ومع أنّ كثيراً من المصطلحات محدَّدة ومُعرَّفة من قبل البحَّاث فإنَّ كثيراً منها يحتاج إلى إعادة تحديد وتعريف وفقًا لإشكاليَّات البحوث وخصوصيَّة كلّ

منها في الظرف الزَّماني والمكاني؛ ولهذا تتطوّر العلوم والمعارف وتتجدّد وتتغيّر إلى الأفضل.

وعليه: مع أنَّ عموم النَّاس يعرفون المصطلح العام لكلمة (مجتمع وكلمة هجرة) إلّا أنَّ خصوصيَّة كل بحث لا تعتمد في بعض الأحيان مثل هذه المصطلحات العامة إلَّا إذا كانت مشكلة البحث ومتغيّراته البحثيَّة تستوجب ذلك وتستهدفه.

إذن: يمكن لأيّ باحث أن:

1 . يعتمد مصطلحًا قد سبق لباحث آخر تحديده.

2 . أن يخالف بموضوعيَّة تحديد مصطلح من المصطلحات التي سبق أن حُددت من قِبَلِ غيره من البحاث أو المؤلفين.

3 . أن يصوغ تعريفًا إجرائيًّا يحدّد فيه مصطلحَات بحثه وفقًا لكل متغيّر من المتغيّرات المستقلة أو التابعة، أو المتداخلة في حالة لم يعتمد مصطلحًا أو تعريفًا سابقًا في ميادين العلم والمعرفة الواسعة.

ولذا؛ فإنَّ تحديد المصطلحات يستوجب الآتي:

1 . أن يحدّد المصطلح العلمي لغة؛ من حيث تأصيل الكلمة بقواعد اللغة التي بها يُكتب البحث.

2 . أن يحدّد المصطلح العلمي مفهومًا؛ من حيث الدلالة والمعنى اللذين تمتد أبعاد الكلمة إليهما أو فيهما، وذلك بما يُظهر الغايات من وراء إنجاز أهدف البحث.

3 . أن يحدّد المصطلح إجرائيًّا: من حيث قبول المصطلح لأن يتجسّد أو ينعكس في السُّلوك والعمل والفعل.

ويقصد بتحديد المفاهيم: تبيان ما تعنيه من مقاصد، وتوضيح ما تتضمّنه من معان، وما تظهره من صفات.

ويتّضح المفهوم عندما يعقله الإنسان، ويميّزه عن غيره الذي يشترك معه في الصّفات؛ فكلمة (شجرة) على سبيل المثال: تشير إلى جميع الصفات التي تشترك فيها الأشجار، ولكن أيّة شجرة أعني بذلك؟

. هل أعني بها شجرة الصنوبر؟

. أم شجرة التفاح.

. أم شجرة التين.

. أم شجرة الأرز.

. أم أيّ شجرة أخرى؟

وهل أعني تلك الشجرة وهي مخضرّة في فصل الصيف؟ أم أعني بها تلك الشجرة ذات الأوراق المتساقطة في فصل الشتاء؟

وإن كانت تلك الشجرة هي شجرة الليمون، فإيّ نوعٍ من أشجار الليمون أعني؟

وهكذا إذا تناول الباحث السُّلطة بالبحث العلمي، فأيّ سُلطة يعني؟

. هل هي السُّلطة الأبوية؟

ـ أم السُّلطة القبليَّة.

ـ أم السُّلطة القضائيَّة.

ـ أم السُّلطة التشريعيَّة.

ـ أم السُّلطة التنفيذيَّة.

ـ أم السُّلطة العسكريَّة.

ـ أم سُلطة مؤسَّسة من المؤسّسات.

ـ أم سُلطة القانون.

أم أيّة سُلطة؟

ولهذا؛ يجب على الباحث أن يحدّد مفاهيمه؛ من أجل إزالة أيّ لبسٍ قد يعلق بذهن المستمع أو المطلع؛ وذلك لأنَّ المفهوم الواحد قد يحمل أكثر من معنى ودلالة، وبما أنَّه يحمل أكثر من معنى ودلالة، إذن: الغموض يحفّه من كل جانب؛ وعليه يحدث الاختلاف بين المتجادلين والمتحاورين أحيانًا لا لشيء إلَّا لعدم وضوح المفاهيم المستعملة في الحوار، مما يجعل نقاشهم خارجًا عن الموضوع، ويجعلهم يتخبطون في هوامش الحديث بين العموميّات.

ولكيلا يقع الباحث وبحثه في هذا اللبس عليه بتحديد مفاهيمه بوضوح ودقّة.

ويهدف الباحث من تحديد المفاهيم إلى توصيل المعلومات بوضوح للقارئ أو للمستمع؛ ليساعده على فهمها واستيعابها، وربطها مع غيرها من المفاهيم السَّابقة ذات العلاقة.

وتَّضح المفاهيم أكثر إذا اتضح المقصود من ورائها، وتكون المفاهيم أكثر وضوحًا عندما تحمل كلماتها صورة لها، فعندما نقول: إنسانٌ فإنَّ للإنسان صورة يمكن تصورها، ولكن عندما نقول: (السّعادة) فإنَّه من الصّعب رسم صورة للسّعادة، مع أنَّنا نحسُ بها وبإمكاننا بوسيلة الملاحظة أن نميِّز بين الإنسان السعيد والإنسان الكئيب؛ ولهذا فللإنسان صورة دائمة الحضور للذهن كشكل ليس إلَّا (صورة عامّة لا خصوصيَّات لها) أي: من هو الإنسان الذي أعنيه؛ لكي نميِّزَ صورته؟

. هل هو ذكر أم أنثى؟

. هل طفل أم شيخٌ كبير؟

. هل هو من الجنس السّامي أم الجنس المغولي؟

. هل هو أسمر أم أبيض اللون؟

. هل هو سمين أم نحيف البنية؟

. هل هو طويل أم قصير القامة؟

كل هذه التفاصيل محمولة في صورة الإنسان عندما تحدّد.

أمَّا السّعادة فهي ليست دائمة الحضور، مع أنَّ الأماني لها دائمة؛ إنَّها المؤقّتة التي يُعبّرُ عنها بصورٍ عِدةٍ كالبهجة والرّضا والفرحة التي ترتسم على وجه الإنسان فتبسطه؛ ولذا فهي المناقضة للاكتئاب،، وما يتركه من أثر انقباضي على وجه الإنسان، وإنَّه من الصّعب رسم السّعادة أو تحديد صور لها، ومن الممكن تصوّر مراميها، والأدلة المعبِّرة عنها، فهي التي لم يتم تصوّر في ذاتها، بل يتم تصوُّرها على أوجه الآخرين.

وعليه: فإنَّ الاستيعاب للمفاهيم التي تحمل صورتها أسهل وأيسر من المفاهيم التي لا صورة لها، والمفاهيم التي لا صورة لها تحتاج إلى توضيح أكثر من غيرها من أجل توصيل المفهوم بدلائله المعبّرة عنه، مما يجعل الباحثين يستغرقون الوقت لأجل فهمها وتفهيمها للآخرين، وهي التي تحتاج إلى وعيٍ وانتباه.

ونلاحظ أنَّ كل من يحمل رقم (1) يمكن تصويره، أو رسمه؛ فالشّجرة يمكن تصويرها لأنّها واحدة، وهكذا السّمكة، والطّائرة، والقط، وكل ما يعبر عن واحد، إلّا الواحد الذي خلق الواحد جلَّ جلاله لا يرسم مطلقًا، إنَّه المصوِّر الذي لا يُصوَّر؛ ولذا لا يُرسم إلَّا من له شكلٌ أو صورة، مثلثًا، مربّعًا، مستطيلًا، منحرفًا وشبه منحرف، وأي شكل آخر، أمَّا ما لم يحمل في مضمونه رقم واحد فلا يُصوَّر، مثل: الحقّ، والعدل، والحريّة، والسّعادة، التي هي معانٍ وألفاظ ودلائل تتحقّق بأفعال الآخرين، وتنعكس في سلوكيّاتهم.

ونظرًا لهذه الأهميَّة يجب على الباحث أن يحدّد مفاهيم بحثه بكل دقة ووضوح، مما يجعله يميل إلى التعريفات الإجرائية في تبيان مقاصده البحثيَّة التي يمكن لنا قياس أبعادها والنتائج المتوصّل إليها، فإذا استهدف الباحث دراسة انحراف الأحداث كموضوع للبحث فينبغي عليه أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما معنى الانحراف الذي يقصده؟

- هل هو كل خروج عن القانون؟

- أم هل هو الخروج عن القانون المكتوب؟

- أم هل هو الخروج عن طاعة الوالدين؟

. أم هل هو الخروج عن القيم الحميدة للمجتمع؟

. أم هل يقصد به الخروج عن الفضائل والدين الذي ارتضاه المجتمع؟

وبما أنَّ الباحث قد حدّد موضوع بحثه في إشكاليَّة انحراف الأحداث، إذن: ينبغي عليه أن يحدّد الفترة العمريَّة المستهدفة بالبحث أو المقصودة بالدّراسة.

وهكذا ينبغي أن تحدّد المفاهيم بنائيًّا ووظيفيّا؛ لتتَّضح أصولها من حيث الطريقة التي تكوَّنت بها، ومن حيث الدّور الذي تستهدفه، أو الوظيفة التي تؤدّيها، فعندما نقول: الانحراف هو الخروج عن القانون الذي تُقرّه الحكومة على المجتمع، يُعدّ هذا تعريفًا بنائيًّا؛ لأنَّه يوضّح الطريقة التي تكوَّن بها القانون الذي يتطلَّب من المجتمع طاعته حتى لا يوصف من لا يطعه بمنحرف أو من فئة المنحرفين، أمَّا عندما نقول: الانحراف هو عدم التزام بعض الأفراد بالنظم، والتشريعات، وأداء الواجبات وحمل المسئوليات التي أقرها المجتمع وارتضاها من أجل تنظيم علاقاته ومعاملاته الحياتيَّة فيُعدّ هذا التعريف تعريفًا وظيفيًّا؛ وذلك لأنَّه يحدّد الوظيفة التي ينبغي أن يلتزم بها المواطن الصّالح ويؤدّيها؛ لكيلا يُعدَّ من المنحرفين.

حدود البحث:

حدود البحث هي المعالم الواضحة لبداية البحث وفترة امتداده ونهايته، وما يحتوي عليه من مصادر بشريَّة، وإمكانات ماديّة، ومصادر علميَّة وميدان لإجراء البحث وإشكاليَّة أو مشكلة تستوجب البحث.

فالباحث وأيُّ باحث لا يمكن له أن يبحث في كل شيء؛ وذلك لأنَّ الأشياء متداخلة في قضاياها وظواهرها ومواضيعها وعلومها ومعارفها وثقافاتها وحضاراتها ومشاكلها ومتغيّراتها؛ لذا وجب على الباحث أن يحدّد معالم حدود بحثه

وإلّا سيجد نفسه يبحث في مواضيع وقضايا لها بداية وليست لها نهاية، مما يتطلَّب منه أن يحدّد الآتي:

1 . أن يحدّد مجتمع بحثه إن كان مستهدفه بالبحث الشَّامل.

2 . أن يحدّد عيّنة بحثه بعد أن يحدّد المجتمع الذي سيتم أخذها منه تناسبيًّا سواء أكانت طريقة الاختيار عشوائية، أم منتظمة، أم عمدية (بالخبرة)، أم ساحيّة، أم طبقيَّة أم فئويَّة.

3 . أن يحدّد المكان الذي يستهدفه بالبحث؛ فهل هو قرية صغيرة أو مجموعة قرى، أم إنَّه مدينة، أم مجموعة مدن، أم أخرى غير هذه وتلك؟

4 . أن يحدّد الزَّمان الذي يستهدفه بالبحث، أي: يحدّد المحتوى المستهدف من قبله بالبحث خلال فترة زمنيَّة واضحة البدايات والنهايات.

5 . أن يحدّد ميدان بحثه أو مجتمع بحثه والفئة المستهدفة منه بالبحث، مع ذكر المستثنى منه عمدًا بمبررات موضوعيَّة.

6 . أن يحدّد موضوع بحثه في أيّ إشكاليَّة تكمن مرتكزاته؛ ليكون تحديد المجتمع أو العيّنة والمكان والزَّمان كل منها متوافقًا مع أهداف البحث وفروضه أو تساؤلاته.

7 . أن يحدّد الباحث الفترة الزمنيَّة المتوقَّعة لإنجاز البحث، أو أن يضبط حدود بحثه بما يتوافق مع الفترة المحددة للبحث كما هو الحال لدى طلبة الدراسات العليا بمرحلتي الماجستير والدكتوراه المحددتين بفترة زمنيَّة؛ حتى لا يجد نفسه أمام موضوع نهاياته لا تتطابق مع الفترة الزمنيَّة المحددة لإنجاز كل واحدة منهما.

استطلاع الدراسات السَّابقة

مفهومُ الاستطلاع:

الاستطلاع تبيُّن قَبل الإقدام على الفعل أو العمل أو السُّلوك المستهدف القيام به، أو تنفيذه على أرض الواقع.

إنَّهُ التبيُّن المعرفي الممكِّن من الاستيضاح وفكّ الملابسات بهدف اتخاذ قرارات موضوعيَّة تجنِّب الوقوع في غير المتوقّع.

إنَّه التبيُّن العلمي للمُستطلَعِ وإظهاره (هو كما هو)؛ ليكون بين أيدي الباحث ميسّرًا، أو بين أيدي النَّاس بلا انحيازات ولا ميول شخصانيَّة.

ومع أنَّ مصطلح الاستطلاع يرتبط بالمستقبل فإنَّه يمتدُّ أملًا إلى الماضي المأمول حتى يتم نيله نتيجة مرضية؛ ولهذا فالآمل لا يقفز على الزَّمن بقدر ما يراه ضرورة لنضج الثِّمار المستهدف جنيُها، فيعمل من أجل سلامة نضجها حتى تستوي رطبًا.

ومن ثمّ، فالأمل يحتوي الزَّمن من أجل بلوغ المأمول ونيله بلا ملل، والآمل لا تضيق نفسه من الزَّمن الذي يجب أن يكون حاضرًا والمأمول لا يفارقه، بل نفسه تضيق إنْ لم يعمل عبر الزَّمن من أجل نيل ما يأمله.

ولأنَّ الأمل يحتوي الزَّمن وكأنَّه مسافة تستوجب العبور؛ فلا يمكن لآملٍ أن يرى الزَّمن عائقًا ولا سالبًا، بل يراه من موجبات تحقيق الأمل ونيله؛ ومن هنا وجب على الآملين حساب الزَّمن وإدارته وفقًا للأهداف والأغراض والغايات الكامنة من ورائها؛ ولهذا ينبغي استطلاع الدِّراسات السَّابقة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّ الأمل لا يكون إلَّا في الزَّمن الحاضر، فإنَّ المأمول لا يمكن أنْ يكون فيه، ومع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى العموم لا يكون إلَّا في الزَّمن المستقبل، فإنَّه بالنّسبة إلى الخصوص في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ومن هنا يمكن أن يكون المأمول في المستقبل، ويمكن أن يكون في الماضي؛ ولهذا فهم يسعون من أجل بلوغه ونيله أينما كان؛ فعلى سبيل المثال: لو كان المأمول هو الجنّة، فهل الجنة تقع في الزَّمن الحاضر، أم إنَّها في الزَّمن الماضي؟

أقول:

مع أنَّ الأمل بالنّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، لكنَّه بالنّسبة إلى آدم؛ يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقًا، ولهذا؛ فالأمل بالنّسبة إلى آدم العودة إلى تلك الجنّة التي فُقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحد، لكنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود، وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنَّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمَّا الأمل فظل منقطعًا على الأرض التي أُهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دنيا؛ فهذا شيء مما يحتويه التَّاريخ الذي قيمته أوجبت استطلاع الدِّراسات السَّابقة التي تحمل في ثناياها حقائق لا ينبغي أن يغض الباحث نظره عنها.

ومن ثمّ، فلا ينبغي أن يكون التفكُّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول؛ فالإنسان الأوَّل الذي خُلق في الجنّة

رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطًا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعًا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه.

وعليه:

فإنَّ الاستطلاع في حاضره لا يكون إلَّا بين الزَّمنين، فهو كما يرتبط بالمستقبل يرتبط بالتمام بالماضي؛ ولهذا فلكلٍّ فعل أو عمل أو سلوك يحدث في الزَّمن الحاضر علاقة ارتباط بماضٍ (مؤلم أو سعيد) أو بمستقبلٍ مأمول، أو بهما معًا.

ومن هنا؛ فالاستطلاع مع أنَّه في أذهان العموم يرتبط بالمستقبل فإنَّه في حقيقة أمره يرتبط بالزَّمن كلَّه، أمَّا ارتباطه بالدِّراسات السَّابقة فقد قيَّد بما هو ماضٍ، أي: قيَّدته كلمة (السَّابقة) فأصبح في هذا التوصيف مقتصرًا على السَّابق موضوعيًّا.

ومن ثمَّ فالاستطلاع رغبةٌ معرفيَّة من أجل المزيد معلوماتيًّا، بهدف التبيُّن الممكِّن من الإقدام، أو التجنُّب، أو الانسحاب، مع أخذ الحيطة والحذر، أو إعداد العُدَّة.

إذن: الاستطلاع انتباه استكشافي يمكِّن من المعرفة الواعية للظاهر والكامن، سواء أكان عادةً، أم فكرًا، أم عملًا، أم فعلًا، أم سُّلوكًا بغرض كشف اتجاهات ومقاصد المستطلَع وحيويَّته.

فالاستطلاع تحقيق معرفي أو تحقيق علمي مقنَّنٌ ومصنَّفٌ، يجرى في ميادين الفكر، والثَّقافة، والطَّبيعة والعلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية؛ لأجل معرفة حقيقة الأمر التي استفزَّت الباحثين موضوعيًّا.

ولهذا فللاستطلاع وسائله المختلفة؛ فمنها: المقابلات، والمشاهدات، والملاحظات، والاستبيانات التي تُمكِّنُ من توافر المعلومات من مصادرها وإخضاعها للتَّفحُّص والتحليل الممكِّن من بلوغ النتائج القابلة للتفسير العلمي.

والاستطلاع الموضوعي يستوجب وعي المستطلع أو الباحث بالموضوع المستطلع من أجله، وإلَّا لن يكون الأمر ميسَّرًا لتحديد المشكلة، أو الموقف، أو الاتجاه، أو الظَّاهرة، أو المشهد، قيد الاستطلاع والتقصِّي، الذي يستدعي استطلاع ما عند الآخرين، أو استطلاع أماكنهم، أو اتجاهاتهم، أو آرائهم، أو معتقداتهم وأفكارهم وثقافاتهم وظروفهم وقدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم، أو استطلاع المؤشرات البيئية والطبيعيَّة التي لفتت آراء البحاث في زمن بحوثهم السَّابقة والتي تبدوا للظّهور في زمن إجراء البحث والدِّراسة.

مفهوم الدِّراسات:

الدِّراسات جمع دراسة، وهي ما أجري بحثًا علميًّا سواء أكان نظريًّا، أم ميدانيًّا، أم معمليًّا أم مختبريًّا.

فالدِّراسة تفحُّص وتدقيق علمي في المعلومات المستمدَّة من مصادرها وميادينها الاجتماعيَّة والإنسانيَّة والطبيعيَّة.

ولذا فإنَّ الدِّراسة العلميَّة تُمكِّنُ الباحث من الاطلاع على تلك الجهود التي سبق وأن أنجزت بحثًا، وقد أجيزت من قِبل لجان الإشراف والمناقشة، أو أنَّها نشرت

معياريًّا؛ ولأنَّها ذات علاقة بموضوع البحث وفقًا للتخصُّص والاهتمام يتمُّ البحث عنها، والعودة إليها، والاستئناس بها فيما يخصّ المشكلة قيد البحث.

فتلك الدِّراسات ذات العلاقة في زمن إجرائها توصف بأنَّها بحوثٍ، ولكن بعد أن أُجيزت من قِبل لجان المناقشة العلميَّة ونُشرت تُصبح مادَّة علميَّة ومعرفيَّة متوافرة بين أيدي البحاث، وبإمكانهم الاطلاع عليها، ومراجعتها، والإفادة من معلوماتها ونتائجها وتوصيات البحَّاث وفقًا لكلِّ تخصُّص.

ولأنَّها توصف بالدِّراسة، فهي مستوفاة الشُّروط، وأصبحت قابلة للاستطلاع العلمي الممكِّن من كشف العلاقة الموضوعيَّة بين مشكلة البحث التي ما تزال مشكلة بين يدي الباحث، وتلك الإشكالية التي تمَّ بحثها من قِبل باحث سابق، استطاع من خلالها أن يصوغ فرضيات أو تساؤلات علمية، ثمَّ تمكَّن من تحقيق أهداف بحثه التي أوصلته إلى نتائج وتوصيات ذات أهميَّة وتفتح آفاقًا واسعة وجديدة أمام بحاث لاحقين.

وعليه: يحتوي مفهوم الدِّراسة مضمون التدارس من خلال تداول الباحث للمعلومات والنتائج التي توصَّل إليها من سبقه بالبحث، وإخضاعها للنقاش والتعليل والتفسير بما يمكِّن من قراءة ذلك المشهد أو تلك الظَّاهرة سواءً أكان المشهد أو الظَّاهرة سياسيَّة أم اجتماعيَّة، أم اقتصاديَّة، أم طبيعيَّة، ولكن من زاوية العلاقة بمشكلة البحث الحاليَّة.

فالتدارس يعني إخضاع تلك البحوث التي أجريت واستكملت شروطها، ونشرت، أو أُجيزت من قبل لجان التقييم والمناقشة إلى القراءة الجادة والمتفحّصة بغرض الإفادة العلميَّة التي تجنِّب الباحث من الوقوع في الهفوات، وتمدَّه بنتائج

وتوصيات ترشده إلى ما ينبغي، وتيسر أمامه السُّبل الجادة في اتجاه ما يبحث عنه، وهو ما يأمله ولم يكن بين يديه بعد.

إذن: الدِّراسة جهود تبذل وفقًا لفروض أو تساؤلات وأهداف محدَّدة قابلة للإنجاز بغرض تأصيل المعرفة المصنَّفة، وتجنُّب التكرار، والإفادة من جهود الذين كان لهم السَّبق في كشف المجهول وكسر قيوده، ومن ثمَّ تيسيره معرفة بين أيدي الباحثين.

وتوصف الدِّراسة بأنَّها إعادة قراءة لذلك المنجز علميًّا بغاية الاستفادة، وتجاوز الصِّعاب التي وقع فيها من سبق له البحث في مضمار المعرفة المصنَّفة، وهي تمعُّن فيما أنجز وكتب ونشر مع تقييم موضوعي لا يستند إلَّا على خطوات البحث العلمي.

وعلينا أنْ نميِّز بين البحث العلمي والدِّراسة؛ فكثير من البحاث يخلطون بين هذا وذاك؛ فالدِّراسة جهود تُبذل على واقع معروف لإظهاره وافيًا بين أيدي من يتعلَّق الأمر بهم، وهي واسعة الامتداد في المجالات المتعدِّدة للحالة أو الظَّاهرة أو العميل، وقد تكون الدِّراسة استطلاعيَّة للتعرُّف على ما يشير أو يدلُّ على وجود مواقف موجبة، أو إشكاليات سالبة، أو مواضيع ذات أهمية في دائرة الممكن، وقد تكون الدِّراسة تتبُّعية وفقًا لخطة مُعدَّة لإنجاز أهداف من ورائها غايات إصلاحية أو علاجية بعد دراستها دراسة وافية.

ومع أنَّ الدِّراسة واسعة المعالم وقد تُسهم في عمليات الإصلاح الاجتماعي والنفسي والاقتصادي إلَّا أنَّها في مُعظم الأحيان لا تُضيف الجديد، فهي تُمكِّن من

التعرُّف على ما هو كائن، وقد تدفع إلى إصلاحه، أو إصلاح بعض منه (بعض ممَّا فسد أو انحرف).

وتحتوي الدِّراسة الموضوعية خمس عمليات مهنية هي: (عملية جمع المعلومات، وعملية تحليل المعلومات، وعملية تشخيص الحالة، وعملية العلاج، وعملية التقويم).

وتتَّصف الدِّراسة بالشّمولية من حيث الموضوع، والزَّمان، والمبحوثين؛ فمن حيث الموضوع تمتدُّ لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسِّياسي والنَّفسي والذَّوقي والثَّقافي، ومن حيث الزَّمن فهي لا تغفل عن الماضي وأهميته، والحاضر وواقعه، والمستقبل وما يُستهدف من أجله، ومن حيث المبحوثين تمتدُّ من حالة الفرد إلى حالة الجماعة ثمَّ حالة المجتمع؛ ولذا فإنَّ الدِّراسة تهتم بمعرفة الكلّ وأثره على الجزء والمتجزئ وهذا ما ليس بالبحث.

البحث يتطلّب فروضًا أو تساؤلات وإشكالية تستوجب الحلّ وإلَّا تفاقمت وأثَّرت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولهذا فالبحث لا يقوم به إلَّا متخصص، ومن هم على مهارة مهنية وفنِّية، أمَّا الدِّراسة فقد يجريها المتخصّص وغير المتخصّص، والبحث يركز على متغيِّرات البحث، والدِّراسة تتوسَّع في غير ذلك فهي تميل للعموم، أمَّا البحث فيتمركز على التخصُّص.

فالبحث يستدعي متخصّصين يقومون بعمليات الإشراف وتوجيه البحاث وإرشادهم إلى ما يمكِّنهم من استيعاب منهجيات البحث ويمكِّنهم من استخدام وسائله، أمَّا الدِّراسة فتأخذ اتجاهين:

الاتجاه الأوَّل: الدّراسة هي ما أشارت إليه خطوات البحث العلمي بعنوان: (استطلاع الدِّراسات السَّابقة) أي: إنَّ الدِّراسة هنا تعني ذلك البحث العلمي الذي قُيم وأُجيز ونُشر ووُثِق على التمام، فأصبح جاهزًا للاستطلاع من قِبل الدَّارسين لما يحمله من فكرة ومضمون ومحتوى.

الثاني: الدِّراسة هي تلك الجهود التي يجريها ذوي الاختصاص أو الاهتمام أي: التي يقوم بها المتخصص وغير المتخصص، وهي لا تتطلَّب جهدًا مقنَّنًا كما هو جهد الباحث المتخصّص، ومع أنَّها تتطلَّب معرفة، فإنَّها لا تقيّد بشهادة أو مؤهّل علمي.

أمَّا البحث فجهد يُبذل للتعرُّف على ما لم يُعرف بالتَّمام مسبقًا، وهو تقصٍّ دقيق وتتبُّع واعٍ وفق خطّة مؤسَّسة على أهداف موضوعيَّة وفروض في دائرة الممكن؛ ولأنَّ الدِّراسة هي معرفة ما هو كائن، فالبحث هو معرفة ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون.

إنَّه التتبُّع الدَّقيق والتقصِّي الواعي للعلاقات ذات الأثر السَّالب، أو الأثر الموجب، وكشف ما ستضيفه جديدًا على الحياة الاجتماعية والإنسانية.

ومن ثمَّ تصاغ له الفروض العلمية التي تستوعب الجزء المتعرَّف عليه، وتتطلَّع إلى الجزء المفقود حتى تكتمل المعرفة، ويتمُّ بلوغ الحقيقة المتعلِّقة بموضوع البحث ممَّا يجعل بلوغها يؤدِّي إلى الإضافة الجديدة التي لم يسبق لها وإن وجدت، وقد تكون النتائج المتوصَّل إليها بالبحث العلمي إضافة جديدة بكاملها وليس إضافة جزء مفقود لجزء معروف، أو متوافر، وفي مثل هذه الحالات تصاغ التساؤلات بدلًا من صياغة الفروض.

ومن هنا فالبحث يؤدِّي إلى إضافة جديدة لمعرفة سابقة، وقد تكون النتائج المتوصَّل إليها تصحيحًا لمعلومات سابقة أو إبطال قاعدة من القواعد التي كان يُعمل بها، فالبحث لأجل التعرُّف على الجديد وإضافته لدائرة المعارف العلميَّة.

ولذا فإنَّ الدِّراسة تجرى على الشيء الموجود، والبحث جهود تبذل من أجل معرفة الشّيء الغائب.

إذن: تجرى الدِّراسات لأجل التعرُّف على ما هو كائن وتصحيح انحرافاته مع إعطاء مؤشَّرات لِما ينبغي إن يخضع للبحث الموضوعي، وتجرى البحوث لأجل الجديد وتتطلَّع إلى كلِّ نافع ومفيد.

وعليه:

لا ينبغي أنْ نطلق على رسائل الماجستير والدّكتوراه مسمَّى الدِّراسة، بل فقط مسمَّى البحث الذي لا يقوم به إلا مُتمكِّن ومتضلَّع في طرق البحث ومستوعبٌ لمناهجه وأساليبه العلمية.

وعليه: فالفارق بين البحث والدِّراسة هو أنَّ البحث مسعى الباحثين عن الغائب من المعرفة، أمَّا الدِّراسة فهي الجهود التي تبذل من أجل معرفة المنجز بحثًا.

مفهوم السَّابقة:

مع أنَّ مفهوم كلمة السَّابقة يرتبط بالماضي زمنًا فإنَّه لا يقتصر عليه، بل يتعدَّاه إلى مفهوم السَّبق الذي لا يكون متحقِّقًا إلَّا بجهود الباحثين الجَّادِّين، ومن هنا يرتبط مفهوم كلمة السَّابقة بالدِّراسات وليس بالماضي المجرَّد، ومع أنَّ الدِّراسات المراد استطلاعها قد أُجريت في الزَّمن الماضي، فإنَّ مواضيعها لا تنفصل عمَّا يجري في الحاضر؛ ولهذا فالعلاقة لا تنفصل بين دراسات أجريت وأخرى تُجرى.

ولأنَّ لكلِّ مشكلة جذورها فلا جذور لمشكلة إلَّا في الماضي، ومن هنا فلا ينبغي الإغفال عمَّا جرى من بحوث ودراسات في الماضي إذا أردنا تأصيلًا أو استمدادًا لرؤيةٍ أو أردنا اتعاظًا أو حُسن تدبُّر، أو استطلاعًا إلى مأمولٍ ينبغي أن يتمَّ نيله.

ومن ثمَّ فالسَّبق في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع كما يولد في الماضي، يولد في الحاضر، ويولد في المستقبل؛ فهو في الماضي سبق زمني وموضوعي (إبداع أو تعرُّف) وفي الحاضر إضافة واكتشاف أو اتعاظٌ واعتبارٌ، أمَّا في المستقبل فسيكون بلوغ غاية ونيل مأمول.

ولأنَّ وراء كلِّ مأمول مأمولات لاحقة فالإضافات العلميَّة ستكون دائمًا في حالة اتصال من حيث متابعة السَّابق وملاحقة الجديد؛ ولهذا فالنظرة العلميَّة إلى السَّابق لم تكن نظرة إلى أموات، بل نظرة تفحُّص وتمعُّن للشواهد الحيَّة التي شهدت على الماضين ولا زالت شاهدة بين أيدي البحاث وثائقٌ، أو آثارًا من آثار الإعمار والبناء الحضاري والثقافي في تلك الأزمن السَّابقة.

ومع أنَّه من الأهميَّة ألّا يُغفل عن تلك الجهود، وتلك الإبداعات فإنَّ ذلك لا يعني القصور عليها، بل يدلُّ على ضرورة استمداد القوَّة، سواء بأخذ شواهد الاتعاظ منها، أو تجنُّب ما وقعت فيه من أخطاء، أو التوقّف على ما أوصت به، ومن ثمَّ تبنيّه؛ كونه على علاقة بما يجري في زمن اللاحقين.

ومع أنَّ لكلمة العلم مفهومًا مستقلًّا كغيرها من الكلمات فإنَّ مفهوم هذه الكلمة وحده يتجسَّد في كلِّ الكلمات، وبمختلف مفاهيمها.

ومع أنَّ الزَّمن متصل فإنَّ الأحداث والمواقيت تفصله؛ ولأنَّه متصل والأحداث تولد فيه أو تنشأ فهي لا تولد ولا تنشأ هكذا ضربة عشواء، بل وراء كلّ علَّة معلول وسبب ينشأن كما تنشأ البذرة وينموان كما تنمو.

أهميَّة استطلاع الدِّراسات السَّابقة:

الأهميَّة تقدير معنوي للظّرف والحالة والموضوع قيد الاهتمام، أمَّا أهميَّة الدِّراسات السَّابقة فتستمد من علاقتها مع ما يجري موضوعيًّا في الزَّمن الآن والتي تتمركز على الآتي:

. تمدُّ الباحث بمزيدٍ من المعلومات والمعارف المؤيِّدة لما يتناوله من إجراءات بحثيَّة.

. تساعد الباحث على الخروج من حيرته العلميَّة وضبط خطواته البحثيَّة وتفسير نتائج بحثه.

. تفتح آفاقًا واسعةً أمام الباحث في صياغة مشكلة بحثه.

. تُمكِّن الباحث من التواصل مع الخفايا المعلوماتيَّة موضوعيًّا.

. تلفت الباحث إلى ما ينبغي الاهتمام به؛ فتلفته إلى ما غفل عنه البحاث السَّابقين وهو ذا أهميَّة لما يَقدِم عليه من بحث علمي.

. تجنِّب الباحث كثيرًا من الأخطاء التي وقع فيها بعض من سبقه في مجال تخصّصه.

. تيسّر للباحث سُبل المعرفة الواسعة التي تمكّنه من الوقوف على الحقائق وكأنَّه شاهد عيان؛ وبخاصّة تيسِّر له تلك الحقائق التي لفتت أنظار من سبقه من الباحثين ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من معالجتها أو إصلاحها.

. تمدّ الباحث بخلفيَّة نظريَّة تسنده تقنينًا وتمدّه بالحُجَّة المعياريَّة.

. الدِّراسات السَّابقة تؤصِّل مشكلة البحث اللاحقة، وتظهر الباحث على ما فاته من جهد في مجال تخصّصه.

. تختصر للباحث الجهد والوقت، وتوفّر له شيئًا من الإمكانات التي لو لم تكن الدِّراسات السَّابقة لكانت أضعافًا مضاعفة.

. تمهد نتائج الدِّراسات السَّابقة للباحث قاعدة بحثيَّة منضبطة كما تيسِّر له الصيغ الممكِّنة من صياغة فروض بحثه أو تساؤلاته.

. تظهر للباحث أثر المتغيرات في البيئات المختلفة.

. تُجنب الباحث الوقوع تكرار أيِّ بحث من البحوث التي سبق وأن دُرست.

. تُمكِّن الباحث من صياغة فروض بحثه أو تساؤلاته من خلال اطلاعه على فروض وتساؤلات بحوث الذين سبقوه في مضمار البحث العلمي.

– تُمكِّن الباحث من تطوير الجوانب التي لم تنل حقَّها من جهود البحَّاث السَّابقين.

. تمدُّ الباحث بمزيدٍ من المصادر والمراجع العلميَّة.

شروط استطلاع الدِّراسات السَّابقة:

. أنْ تكون بشكلٍ عام ذات علاقة واضحة مع مشكلة البحث قيد الدّراسة.

. أنْ تكون ذات علاقة بمتغيرات البحث الرَّئيسة والمتغيِّرات المتفرّعة منها.

. مراعاة الأمانة العلميَّة في اختصار وصوغ خطوات تلك الدِّراسات التي شكَّلت لها هيكليّات خاصَّة.

. تنظيم وضبط الدِّراسات السَّابقة وفقًا للتسلسل التاريخي الذي نشرت فيه؛ فترتَّب تصاعديًّا من الأقدم إلى الأحدث، أو من الأحدث إلى الأقدم.

. أن تستمد الدِّراسات السَّابقة من مصادرها الأوَّلية، وليس من المصادر الثَّانوية.

. أن تكون الدِّراسات مجازة علميًّا من لجان التقييم، وقد نشرت في الدّوريات والمجلات المحكمة.

. أن يكون عرض الدِّراسات السَّابقة مختصرًا بمهنيّةٍ تُظهر أهميَّة الدِّراسة موضوعيًّا وتبعدها عن أساليب العرض الإنشائي؛ فالباحث لا يطالب إلَّا بما يتعلَّق بمشكلة بحثه من متغيرات رئيسة أو متغيرات ذات أهميَّة بالرّغم من تفرعها؛ ولهذا فلا داعي للتفاصيل، أي: ينبغي على الباحث أن يطلع على تفاصيل الدِّراسات ذات العلاقة من أجل مزيدٍ من التبيُّن، ولكن لا ينبغي له عرض ما اطَّلع عليه من تفاصيل.

. ألَّا يتمّ التسليم بنتائج الدِّراسات السَّابقة تسليمًا قاطعًا فالكمال دائمًا لله تعالى {وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[22]؛ ومن ثمَّ فكلّ شيء يخضع للتقييم العلمي موضوعيًّا.

---

[22] الإسراء: 85.

تحليل المعلومات والبيانات:

التحليل: analysis عمليَّة تتبع وتقصٍّ دقيق للمتغيّرات المستقلة والتابعة والمتداخلة في الموضوع، مع اكتشاف العلائق ومؤثّراتها السَّالبة والموجبة على الحالة قيد البحث والدّراسة، فهو يرتبط بالمعلومة المؤثّرة على الفعل والسُّلوك، وعلى القاعدة والاستثناء، وهو المؤدّي للتبيُّن والتعرُّف والاستكشاف عن وعي وبدلائل وحُجج مثبتة، وفقًا لدائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع).

بالتحليل تتحدّد الأفعال والأقوال والسُّلوكيّات وتكراراتها وعلائقها السَّالبة والموجبة؛ حتى يتم بلوغ النتائج المبدئيّة وعرضها في جداول وأشكال بيانية؛ لإظهار الحقائق التي تستدعي التعميم، والتي في حاجة للتقييم والتقويم.

وفي مهنة الخدمة الاجتماعيَّة وعلم الاجتماع تُعد عمليَّة التحليل من عمليات دراسة الحالة، وهي الحلقة التي تتوسط عمليتي جمع المعلومات وتشخيصها؛ ولذا يقوم الباحث المتمكّن بمهارة وفن باستقراء العلل والأسباب التي تكمن فيها حالة المبحوثين؛ حتى يتمكّن من اكتشاف العلاقات بين متغيّراتها المستقلة والتابعة والمتداخلة من خلال تفكيكه للمعلومات المتوفرة والمتاحة بين يديه[23].

تصنيف المعلومات والبيانات:

إنّ المعلومات والبيانات التي يتم تجميعها، قد تكون كثيرة ومتداخلة، مما يجعل صعوبة في تبيان العلاقات بين المتغيّرات التي كانت وراء ظهورها أو وجودها، وهذا يتطلَّب من الباحث أن يصنّفها ويبوبها، من أجل تبيانها بكل دقة ووضوح، ومن أجل تسهيل عمليَّة تحليلها تحليلا موضوعيًّا.

---

[23] عقيل حسين عقيل، منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، مالطا: دار الجا للطباعة والنشر، 1996، ص 57.

ويتم تصنيف المعلومات والبيانات حسب المتغيّرات الرّئيسة، والقيم المشتركة في الخصائص، والصفات للتمييز بينها، من أجل إبراز أثر كل متغيّر على الحالة، وعرضها دون التباس أو تداخل.

ولهذا فالتصنيف يساعد على عرض المعلومات المتماثلة وتبيانها، والمعلومات غير المتماثلة عن طريق توحيد المتماثل، وتفريق غير المتماثل وتصنيفه حسب الخصائص والصفات التي يتميّز بها كل متغيّر أو عنصر من العناصر المبحوثة أو المدروسة.

وبما أنّ تصنيف المعلومات وفق المتغيّرات التي تشتمل الدراسة عليها، إذن: من الضرورة مراعاة قيم المتغيّرات في التصنيف، وبما أنَّ التصنيف حسب الخصائص والصّفات، إذن: التحليل يكون بينها وبين آثارها؛ فإذا كان تصنيف المعلومات والبيانات حسب الديانة، والجنسية، والنّوع، فينبغي مراعاة القيم التي تندرج تحت كل منها.

فتصنيف الديانة على سبيل المثال: ينبغي أن يكون مبوَّبًا وفق كل ديانة على حده، المسلم في خانة لا يندرج تحتها إلّا المسلم، والمسيحي في خانة لا يندرج تحتها إلا المسيحي، واليهودي في خانة لا يندرج تحتها إلا اليهودي، وقد يتم تصنيف أصحاب الديانات تحت تبويب (المسلم) في خانة من خانات الجدولة التي تسمح بأن يكون أصحاب الديانات الإبراهيميّة في خانة واحدة هي (خانة المسلم) ومن لم يكن مسلمًا يصنَّف في خانة (غير المسلم).

وإذا كان التصنيف حسب الجنسيّة، توضع قيم كل جنسيّة في عمود بمفردها، فإذا كانت الجنسيّات المشتركة في الدراسة هي: الليبية والمصرية والسورية

والتونسية والإنجليزية والفرنسية، فيمكن أن يكون التصنيف حسب هذا العرض، لكل الجنسيات التي ذكرناها، وقد يكون التصنيف إلى: عربي، وغير عربي، بحيث تشتمل الأولى على كل القيم التي تحملها الجنسية العربية، وفق الأقطار التي تم ذكرها لكونها مفردة من مفردات البحث، وتشتمل الثانية على من لم يكن عربيًّا، وهم الانجليز، والفرنسيون الذين شملتهم الدراسة، ويراعى في تصنيف المعلومات ألا يخلط الباحث في عرض بياناته الكميّة بين الجنس، فعليه أن يراعي في عرضه لمعلوماته وبياناته وجود خانة خاصة بالذكور وأخرى للإناث؛ وذلك لأجل دراسة متغيّر الجنس على متغيّرات أخرى صحةً أو تعليمًا أو إنتاجًا وغيره كثير، وعلى الباحث أن يُراعي متغيّر العمر، وهكذا ينبغي تبويب البيانات وتصنيفها وعرضها في جداول إحصائية؛ لتكون المعلومات جاهزة للتحليل.

يُعدّ تصنيف المعلومات وعرض البيانات القاعدة الأساسية التي تمكّن الباحث من التحليل العلمي المنظم، ويُعدّ المرآة التي تعكس المعلومات في كميّاتٍ وأعداد وموازين قابلة للقياس المعياري[24].

يتضمّن التصنيف العلمي نوع الأسئلة: المفتوحة، والمقفلة، والأسئلة المفتوحة المقفلة، والأسئلة محدودة الإجابة؛ وذلك بعرض كل القيم التي يحتوي عليها كل سؤال، وحسب المتغيّر الذي يتضمّنه.

---

[24] قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010م، ص 218.

وهكذا يصنّف الكل مع الكل، والجزء مع الجزء، والمتجزئ مع المتجزئ؛ لأنَّ المقصود من عمليَّة التصنيف هو ترتيب المعلومات والبيانات، وتقسيمها إلى فئات بحيث توضع القيم المتشابهة في فئة واحدة[25].

عرض المعلومات والبيانات:

بعد أن تُصنَّف المعلومات والبيانات تسهل عمليَّة عرضها بشكل يسهل على الباحث تحليلها، وإجراء المقارنات بينها وبين متغيّراتها المستهدفة بالبحث وفقًا لما تمت صياغته في الأهداف والفروض أو التساؤلات.

وتعرض المعلومات بطرق متعدّدة ومتنوّعة من باحث لآخر، وفق الآتي:

1 . عرض المعلومات إنشائيًّا:

تصنّف المعلومات وتعرض بصيغة تبيِّن أو تُظهر العلاقات بين المتغيّرات، والصّفات، والخصائص، ويتم التعبير اللفظي عنها، سواء أكانت المعلومات والبيانات كميّة أم كيفيّة.

2 – عرض المعلومات والبيانات في جداول:

وبخاصّة إذا كانت الدّراسة أو البحث يحتوي على كميّات وقيم كميّة تعبّر عن قيم متعدّدة ومتنوّعة ومختلفة أحيانًا، ويكون كل عمود خاصًّا بقيم متغيّر من المتغيّرات البحثيَّة، سواء أكان مهنة، أم جنسًا، أم مرحلة تعليمية، أم حالة صحيَّة، أم جنسية، أم ديانة، ولكل من هذه العوامل قيم تتعدّد حسب تصنيف الباحث

[25] عقيل حسين عقيل، المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، الدار البيضاء، المؤسسة العربية للنشر والإبداع، 1999، ص 93.

لها، وحسب تصنيفه لها تعرضُ في جداول إحصائيّة تختصر للقارئ الزّمن الذي قد يستغرقه أكثر لو إنَّها لم تُعرض في شكل علمي يبيّن قيمها الدّالة عليها.

3 – عرض البيانات والمعلومات بيانيًّا:

تعدّ الرسومات البيانيّة وسائل إيضاح مهمّة في تبيان المعلومات والبيانات وتوضيحها بشكل علمي تسهِّل على القارئ، والباحث المقارن الإلمام بالمعلومات والبيانات، وعرض البيانات والمعلومات بيانيًّا يأخذ أشكالا متعدّدة، منها: المنحنيات، والأعمدة، والدوائر، والمضلعات وغيرها كثير، وعلى درجة عالية من الأهميَّة.

4 – عرض المعلومات والبيانات بأكثر من طريقة:

كلّما زاد اهتمام الباحث بالموضوع كانت قدراته العلميَّة والفنية على درجة عالية من الذوق الرفيع في عرض البيانات والمعلومات بأساليب وطرق تشوِّق القراء إليها وتستوقفهم بالانتباه إليها، والتعرف بيُسرٍ على متوسطات نزوعها وتشتتها وتمركزها ومقاييسها المعيارية والإحصائيّة؛ ولذلك ينوّع الباحث عرض معلوماته إنشائيًّا، وبيانيًّا، وفى جداول إحصائيّة ورسومات بيانيّة.

أهميَّة تحليل المعلومات والبيانات:

لا قيمة للمعلومات والبيانات إذا لم تُحلل وتُفسَّر وفق منهج علمي واضح؛ لأنَّ تكديس المعلومات من دون تحليلها لا يحقّق نتائج تجيب عن تساؤلات الباحث أو فروضه العلميَّة التي صاغها وفقًا لأهداف بحثه التي استمدها من مشكلة البحث أو إشكاليته بموضوعيَّة.

ولكي لا يضيع جهد الباحث هباء منثورًا، عليه أن يحلل المعلومات والبيانات التي جمعها وتحصَّل عليها من مصادرها، وحسب ظرفها الزَّماني والمكاني اللذين تأثّرت بهما دون عاطفة شخصيّة، أي: ينبغي أن تحلل المعلومات وفقًا لمعطياتها وعلل وجودها وفي الزّمان التي ظهرت فيه ووفقًا لمعطياته، لا أن تحلل بمعطيات خارجة عنها؛ وذلك من أجل أن ينصبّ التحليل على الموضوع لا على ما هو خارج عنه، وعند تحليل المعلومات ينبغي ربط المتغيّرات ذات العلاقة بالظَّاهرة مباشرة، والتركيز عليها بتبيان المستقل منها والتابع، وعلاقتهما بالمتغيّر المتداخل أو الدخيل عليهما، وتبيان آثار كل منها سواء أكانت إيجابيّة أم سلبيَّة، وسواء أكانت أساسيّة أم ثانويّة. فإذا افترضنا أنّ الصّحة متغيّر مستقل، وأنَّ ارتفاع المستوى الصحي بين أفراد المجتمع يؤدّي إلى زيادة الإنتاج، إذن: زيادة الإنتاج في هذه الحالة هي المتغيّر التابع؛ وذلك لأنَّه مترتّب عليه، أو ناتج عنه، وإذا كانت الحالة الصحيَّة لأفراد المجتمع جيدة، بسبب ارتفاع نسبة التعليم، فإنَّ التعليم في هذه الحالة يكون المتغيّر المستقل، وتكون الحالة الصحيَّة المتغيّر التابع؛ ولذا فالمتغيّر المستقل هو الذي يؤثّر في متغيّر آخر، وأحيانًا يكون نتيجة له.

والتحليل العلمي لا يؤمن بالمطلق الذي لا يثبت، بل يؤمن بأنَّ الأشياء قابلة للإثبات الموجب والإثبات السَّالب، وكذلك قد تكون قابلة للنفي، وكل شيء ينبغي أن يحلل وفق معطياته؛ ولهذا الدين كمتغيّر يفهم ويحلل من داخله وبفلسفته لا من خارجه، فإذا استهدفنا تحليل الدين الإسلامي بما يتضمّنه من مثل وفضائل، فلا نحلله بمنظور اليهودية، أو المسيحية، ولا نفسره بهما، بل نحلله ونفسره بفلسفته التي هو عليها، وإذا حاولت العلوم المعاصرة أن تفسر الأديان ولم تستطع، فهذا لا

يعني وجود الغموض في الأديان، بل يعني قصورًا في المنهج، أو الطريقة، أو الأسلوب، أو الوسيلة البحثيَّة المستخدمة في البحث أو الدراسة[26].

ولذلك؛ إذا لم يكن المنهج المتّبع مستمدًّا أو مستنبطا من الأديان كموضوع، فإنَّه لا يُمكِّن من التعرُّف عليها أو البحث فيها، والعلوم التجريبيَّة إذا حاولت أن تتعرَّف على الميتافيزيقا ولم تستطع إثباتها، فلا يعني ذلك عدم وجودها، بل يعني قصور العلوم التجريبيَّة عن معرفتها، أو قصور منهاجها وطرقها وأساليبها ووسائلها؛ ولهذا لو أُستمدَّ المنهج الذي يتّبع من قبل بعض التجريبيين في دراسة الميتافيزيقا من الموضوع قيد البحث والدراسة لكان خير منهجٍ أو طريقة أو أسلوبٍ؛ ولهذا يكون من الصّعب أن يصل الباحث التجريبي إلى هذه المعرفة إذا لم يتّبع المنهج المناسب لذلك، أو الطريقة المناسبة لذلك.

إنَّ التحليل العلمي لا يخضع للمزاج الشخصي، بل يخضع للأحكام والقوانين العامّة، والنظريّات ذات العلاقة بالموضوع، والآراء والاتجاهات التي لا تقبل الرَّأي الآخر، من أجل أن تفرض رؤاها؛ كما حدث للماركسية، تكون متعصّبة وقاصرة وزائلة؛ ولذلك ينبغي للباحث الذي ينتقد الآخرين بموضوعيَّة أن يتقبَّل نقد الآخرين له ولِما يجريه من بحوث ومؤلفات بموضوعيَّة، فإن قَبِل بذلك تطوَّر، وإن لم يقبل لن يتطوَّر.

يُعدّ التحليل عمليَّة عقليَّة يستند على معطيات (معلومات)، ويؤدّي إلى نتائج تؤدّي إلى معالجات وحلول ويترتَّب عليها مقترحات موضوعيَّة، ويُعدّ التحليل

---

[26] البحث العلمي (المنهج والطريقة)، القاهرة: المصرية للطباعة والنشر، 2019، ص 152.

حلقة وصل بين مرحلة تجميع المعلومات والبيانات، ومرحلة الوصول إلى النتائج، مما يجعل النتائج مترتّبة على المعلومات، وكامنة فيها.

عناصر التحليل العلمي:

- الكلّ:

الكل هو ما يدلّ على الشمول، وهو في دائرة الممكن مهما كبر أو عظم فهو لا يخرج عن دائرة النسبيّة، والكلّ هو المتضمّن للمختزل فيه، والمشتمل على الجزء والمتجزئ منه، فالإنسان كمفهوم كلّي يختزل كل البشر من حيث المضمون والجوهر؛ ولذا ينبغي على الباحث في أثناء إجراء عمليَّة التحليل أن يبيّن من هو الإنسان المقصود، أي: ينبغي أن يحلّل هذا المفهوم بما يُمكِّنه من معرفة نوعه: (ذكر أم أنثى) الفئة العمرية التي يندرج تحتها: (طفولة أم شباب، أو نضج، أم شيخوخة) وأن يبيّن جنسيته: (عربي أم غير عربي) ديانته (مسلم ، مسيحي، يهودي، أم بوذي أم غيره)؛ ولهذا عند تحليل المعلومات يكون التحليل علميًّا واضحًا؛ إذ لا لبس ولا غموض، وهكذا كلمة الطير تختزل كل الطيور، ومثلها كلمة النبات هي الأخرى تختزل كل النباتات بجميع أنواعها وأشكالها، ومثلها أيضًا الحيوان؛ فأيّ طير أعني، هل أعني بذلك الحمام، أم الصقور، أم الإوز والبط أم ماذا؟ وكذلك أيّ نبات أعني؟ وأي حيوان أعني؟ وهل هي نباتات أم حيوانات برية أم بحرية؟

وعليه: فالتحليل الكلي تحليل شمولي، به يتم استيعاب الموضوع واستيعاب الفكرة التي تتمركز مشكلة البحث عليها، مما يوجب على الباحث الالتزام بالمنهج

العلمي الذي يُمكِّنه من تبيان العلل، والأسباب، وإجراء المقارنات، وإبراز نقاط الاتفاق، أو الاختلاف، أو الإثبات، أو النفي[27].

– الجزء:

الجزء هو المختزل في الكل، والمحتوي على المتجزئ والمختزل له، فكلمة رجل تختزل كل الرّجال فيها، وهي جزء من كلمة إنسان بمفهومها الكلي، وكلمة عصفور تتكون من كل العصافير المتجزئة من كلمة طير، وبمختلف أنواع العصافير وأشكالها وألوانها وأماكن تواجدها، فالتحليل الجزئي هو التحليل الأكثر دقة من التحليل الكلي، وتختلف طرق التحليل وأساليبه من باحث إلى آخر، فهناك من ينتقل في تحليل المعلومة من الكل إلى الجزء، وهناك من ينتقل من الجزء إلى الكل، فهذه طرق وأساليب لا ينبغي قولبتها، بل يُفضَّل أن تكون المرونة في استعمالاتها؛ حتى لا تكون المناهج وطرق البحث قيدًا على العقل الذي دائمًا يبدع ويُطوِّر.

إذن: المعلومة كوحدة واحدة هي كلية، وبالتحليل تتجزأ، ثم تتجزأ إلى متجزئات صغيرة من خلالها يتمكّن الباحث من استبيانة مكامن العلل والأسباب التي أظهرت مشكلةً للبحثِ والدراسةِ.

– المتجزئ:

هو المختزل في الجزء، والمتكوّن من المحتوى الذي يتضمّنه ويميّزه عن غيره من المتجزئات، فكلمة حسين كاسم متجزئ من الأسماء التي تشتمل على كلّ الذين اسمهم حسين، ولكن أيّ حسين أعني؟ مما يستوجب تمييزه عن غيره من الذين يندرجون تحت هذا الاسم؛ وذلك بكتابة اسم الأب، واللقب إن وجد، ونوع المهنة،

---

[27] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية مفاهيم ومصطلحات، القاهرة: المصرية للطباعة وللنشر، 2019، ص 171.

والمرحلة العمرية، وعلاقته بالحالة المدروسة؛ وهكذا كلمات فلّاح وصيّاد وطالب تتوحّد في المهنة أو الحرفة وتتجزأ إلى جماعات، وكل جماعة تنقسم حسب النّوع إلى ذكور وإناث، وكذلك فهي تتجزأ من حيث العمر، والدور الذي تقوم به، واللغة التي تتحدث بها، والدين الذين تدينه، والأمة التي تنتمي إليها؛ وعليه: ينبغي أن يكون التحليل في تتابع من الكلّ إلى الجزء ثم إلى المتجزئ، أو بالعكس تمامًا من المتجزئ إلى الجزء ثم إلى الكل، مع مراعاة ما يتداخل بينهم من متغيّرات[28].

التحليل الإنتاجي:

مع أنَّ المناهج العلميَّة ضرورة في نظم المعلومات وتتبّعها وسبر أغوارها فإنَّ اتباعها وفقًا لتدبر من صاغها قد يقولب العقل الإنساني وتفكيره مما يجعله تفكيرًا استهلاكيًّا وليس بتفكير إنتاجيٍّ؛ ولذا فإنَّ المناهج الجاهزة كثيرًا ما تهتم بتكديس المعلومات وعرضها في جداول وأعمدة ومنحنيات، مما جعلها مناهج عنعنة ودعاية ساكنة وكأنَّها غاية في ذاتها، أمَّا الذين يعتمدون على المنهج التحليلي وهم غير منغلقين على منهج بعينه وكأنّه كاملٌ؛ فلا بدَّ أن يكونوا من المبدعين والمخترعين الذين يسهمون في زيادة التطوّر المعرفي والعلمي الذي يُحفِّز على الإنتاج، والاكتشاف، والاختراع؛ ولأنَّه لا يمكن أن نصل إلى أيّ نتائج علميَّة مهما استخدمنا من مناهج وطرق بحثية إلّا بعد تحليل المعلومات التي تم تجميعها بالوسائل المستخدمة؛ لذا فإنَّ المنهج التحليلي منهج التوليد والاكتشاف والإنتاج الذي يمدُّ بالجديد باستمرار، ولا قيمة لطرق البحث ما لم تعتمد على المنهج التحليلي في تفكيك المعلومة وتركيبها ونظمها في موضوع متماسك الأوصال.

---

[28] المصدر السابق، ص 103.

وعليه: لا يمكن أن تنجز أهداف البحث العلمي في العلوم الطبيعيَّة والاجتماعيَّة والإنسانيَّة إلا به؛ ولهذا لا يُعدّ التحليل العلمي مرحلة مستقلّة بذاتها، أي: لا يمكن أن ينفصل عن المعلومة التي يكمن فيها؛ ولذا فإنَّ الحقيقة دائمًا تكمن في المعلومة الصّادقة.

وعليه، أتساءل:

. هل يستطيع الباحث أن يفصل تفكيره التحليلي عن المعلومات التي يجمعها؟

. وهل من الأفضل أن يهتم الباحث بهذه التحليلات في وقتها أم يتركها إلى النهاية التي تهددها بالنسيان؟

. وهل التحليل في أثناء تجميع المعلومات يسهم في اتساع مدارك الباحث على الموضوع أم يحد منها؟

في اعتقادنا أن التحليل عمليَّة متّصلة ومترابطة من الكل إلى الجزء إلى المتجزئ؛ ولذلك فبعض المعلومات يُطلبُ تحليلها في الوقت نفسه، والبعض الآخر ينتظر معلومات أخرى ذات علاقة؛ ولهذا التحليل متداخل مع المعلومات في أثناء تجميعها، وبعد تصنيفها وعرضها مفرَّغة في جداول إحصائيّة وهي جاهزة للتحليل الموضوعي.

التحليل العلمي هو تفحُّص وتتبُّع دقيق للمتغيّرات وعلاقاتها وآثارها المباشرة، وغير المباشرة، ويعتمد في أساسه على الملاحظة الجادّة، والجدل الموضوعي الذي يستوعب الظواهر والمواقف ويزيل المخاوف والشّكّوك ويؤدّي إلى اليقين،

وليس معنى ذلك أنّ الجدل هدف في ذاته، بل إنَّه الأسلوب العلمي المحقّق للأهداف.

والمنهج التحليلي منهج ديناميكي، يولِّد حركة من متحرّك (من معلومات)؛ فالمعلومات كمتحرك مترابطة ومتّصلة من الأسباب والمبادئ، إلى الأهداف والنتائج، وتتولّد الحركة من المتحرّك بملاحظة الباحث للمتغيّرات وعلاقاتها في أثناء النزوع والتشتت، وكلّما تمكّن الباحث من توليد حركة من متحرّك كان له إنتاجٌ خاضعٌ للمراجعة وقابل للتفسير، ونتفق مع الفيلسوف توماس هوبز في قوله: "نحتاج إلى المنهج التحليلي؛ من أجل أن ندرك كيف أنَّ الظّروف تفضي إلى إنتاج المعلومات"[29].

ويُعدّ المنهج التحليلي منهج عرض المحتوى وتفحّصه من خلال الزَّمن ومكوناته المتصلة ثانية بثانية، وبرهة ببرهة، أمَّا الإنتاج العلمي فمنفصل؛ فقد يحدث اليوم اختراع علمي: (إنتاج علمي) وبعد فترة أخرى ينتج آخر، وهكذا هناك انفصال من وقت إلى آخر بين إنتاج وإنتاج، ولا يربط بينهما إلا الزَّمن أو الموضوع؛ لأنَّ العلوم المنتجة تستوعب أثر تغيّر الزَّمان والمكان على الموضوع الواحد؛ مما جعل نتائج التحليل في الماضي قاعدة أساسية لعلوم اليوم والغد، ولا أمل أمام تحليل الماضي إلّا اليوم والغد، ومثلها تكون العلاقة بين الحاضر والمتوقَّع[30].

---

[29] تيودور أويزرمان، تطور الفكر الفلسفي، "ترجمة: سمير كرم"، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة، 1982م، ص 259.

[30] جون ب. ديكنسون، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث. " عالم المعرفة "ترجمة: شعبة الترجمة باليونيسكو، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 122، 1987م، ص 244.

والمنهج التحليلي منهج العلوم بمختلف ميادينها وتخصّصاتها، فهي المستخدمة له، ولا قيمة للمعلومات المجمعة إلّا به (بتحليلها)؛ ولذا لا يمكن أن تصل المعلومات إلى تحقيق الإنتاج العلمي والإبداع إلّا به، وكل معلومة ناقصة لا تكتمل إلّا بالتحليل، والتحليل المنتج هو الذي يتابع المعلومات أوّلا بأوّل من خلال الملاحظة العقليّة والحسيّة والمشاهدة الواعية التي لا تنجر خلف خدعة الحواس، ومع أنّ العلوم بمختلف تخصصاتها ومتخصصيها تستخدم مناهج أخرى حسب أهميَّة ذلك للموضوع المدروس، فإنَّها لا تستغني عن استخدامات المنهج التحليلي الذي به تتمكّن من الوصول إلى النتائج العلميَّة المرموقة.

التحليل الإبداعي:

هو الذي يستوعب الماضي ويحلله علميًّا، ويُشخِّصه بموضوعيَّة من أجل معرفة ما اشتهر به من إيجابيّات وما علق به من سلبيّات، وكيفيّة الاقتداء بالموجب، والابتعاد عن تكرار السَّالب، دون إنكار لجهود السّلف، مع مراعاة العصر وما وصل إليه من تقدّم؛ ولكيلا يكون الباحث مقتصرًا على ما هو سلفي، أو أن يكون الباحث باسم المعاصرة مهملًا لكل المعطيات الموضوعيَّة ذات الأهميَّة العالية في زمن السلف الصالح عليه أن يكون منتقدًا لكل ما من شأنه أن يؤدّي إلى خللٍ في الفضائل والقيم الحميدة في كل زمن من الأزمان، وعليه أن يعرف أنَّه لا فرق بين السّلفي والمعاصر، إلّا الزَّمن: (الماضي والحاضر)؛ لأنَّ كلًّا منهما يحلّل بمنظور التقليد فقط؛ فالأوَّل: مقلّد للسلف بما هم عليه من سلبيّات وإيجابيّات، والثاني: مقلد للعصر، بما هو عليه من سلبيّات وإيجابيّات؛ ولهذا كلٌّ منهما متقولب بأحكام مسبقة، وكأنَّ السلفيَّة والمعاصرة مبنيتان على الكمال ولا نقصان فيهما.

إنَّ استمرار العلوم والبحوث العلميَّة في الزَّمن الحاضر بنظرة الماضي، قد لا تؤدّي إلى مستقبل متطوِّر، وإنّ انفصال الحاضر عن نظرة الماضي قد يؤدّي إلى الانسلاخ عن الأصالة العريقة؛ ولهذا فالمعاصرة لا تعني الانسلاخ عن الأصالة، بل إنَّها تعني: استيعاب المعاصر دون إغفال عن أهميَّة السَّابق المتخلص من سلبيّات السلفيّة العقيمة، والمستوعب للجديد الذي فيه أصالة؛ ولهذا الأصيل بالضرورة يكون معاصرًا؛ لأنَّ الأصالة لا تنتهي، بل إنَّها المستمرّة.

والتحليل الإبداعي لم يكن تحليلًا دفاعيًّا، بل تحليلًا تشخيصيًّا نقديًّا محاججًا (حجّة بحجّة)، ولم يكن استسلاميًّا يخضع لسيطرة الآراء الجاهزة، وعليه: فالتحليل الإبداعي يتناول المواضيع بما تطرحه، وبما تتضمّنه وتشير إليه، ولا يعتمد على أحكام مسبقة إلّا بعد التأكد منها، وهو المتتبّع لخطوات البحث العلمي وفق كل الموضوع، ودون ترويم أيٍّ منهما للأخرى: (ترويم الخطوات للموضوع، أو ترويم الموضوع للخطوات).

إنَّ التحليل الإبداعي تحليل متفحِّص للموضوع والواقع دون تحيّز للأنا، ودون انسلاخ عن الذّات: (ذات المجتمع أو الأمّة المنتمي إليها)، وبنظرة تحقيق الأمل (تحقيق المستقبل) يسعى الباحثون إلى الاكتشاف والاختراع، وتسعى الشعوب إلى تنشئة أجيال مستفسرة، متسائلة عن موضوعها، وأسبابه، وعناصره، وأهدافه، وما يترتَّب عليه، وما الخطط التي ينبغي أن توضع له؟ وما هي البدائل والسُّبل التي بها يُختصر الزَّمن والتكاليف، ويتحقق الأمل؟ بطبيعة الحال هذا الأمر لا يتم بتجميع المعلومات والوقوف عندها، بل يتحقق بتحليلها وتبيان نقاط ضعفها وقوّتها، وما تنصّ عليه مضامينها ومحتوياتها، أو ما تشير إليه ضمنًا، وهذا أيضًا لا يتحقّق هو الآخر إلا إذا كان الباحث حرًّا؛ ولذا إذا أردنا مجتمعًا مبدعًا، أو أمّة

مبدعة، أو باحثًا مبدعًا علينا بإزالة الأغلال التي تمنع أو تحدّ من حركتهم أو تفكيرهم، وأن يُمكَّنوا من ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمل مسئولياتهم.

والتحليل الإبداعي يسعى دائمًا إلى معرفة النهايات الموضوعيَّة، مما يجعل له استمرارية واتصالًا، من الكل إلى الجزء، إلى المتجزئ فكرة أو نصًّا أو خطابًا أو قيمةً ومبدأ، وعليه: فالتفكير في النهايات والبحث عنها، يؤدّي إلى الإبداع، أمَّا التفكير فيما لا نهاية، فهو تفكير منفصل لا حقائق من ورائه، وبالتّالي لا يؤدّي إلى الإبداع، مع أنَّه يؤدّي إلى التكرار، والتكرار لا يؤدّي إلى الجديد، ولأنَّه كذلك فهو لا يؤدّي إلى الإبداع.

ولهذا؛ فالإبداع لم يكن تسليمي إلّا بعد القياس والاختبار والتجريب لكلّ ما لم يسبق إثباته بعد، فلا تسليم إلا بمسلم مثبت أو مطلق؛ ولذا لا يكون التفكير الإبداعي ببغائي، بل إنّه استيعابي يستوعب الموضوع ويعرِّضه للقياس والنقد الداخلي والخارجي، ولم يكن مثل آلة التصوير التي تصوّر الموسوعات والمؤلفات دون أن تحتفظ بمعنى يفيدها؛ ولهذا الباحث الذي يتّبع ويردّد كل أمر واقع دون أن يَتبيَّنَ ذلك الأمر وأسراره والحكمة التي من ورائه لا يمكن أن يكون باحثًا مبدعًا للمعلومة العلميَّة، ولا منتجًا للفكرة العلميَّة[31].

والتفكير العلمي المبدع هو التفكير المنظّم والمرن؛ إذ لا جمود فيه، وهو الذي لا يفكّر للغد بنظرة الأمس، ولا بنظرة اليوم، بل من خلال تحليله للأمس واليوم ومعرفة خصوصيَّة كل منهما، مما يجعل الباحث على معرفة واعية بأنَّ للغد خصوصيَّة ستميّزه عن خصوصيَّات الماضين والحاضرين، اللذين تُستمدّ القوَّة منهما لأجل

---

[31] المصدر السابق، ص 80.

مستقبلٍ أقوى؛ ولذا فمن يفكّر ويحلل معطيات الغد بنظرة الأمس واليوم فقط، سيجد نفسه متخلّفًا عن حقيقة الغد ومنظوره، ومع أنَّ الأيّام مستقلة (بدايتها ونهايتها) عن بعضها البعض فإنَّها متّصلة بإنتاجها، وإبداعها المتراكم الذي يجعل بينها رابطة، ويجعل المفكّرين دائمًا مع الأمل بتحليلهم للأمس واليوم وتفكيرهم في غد أفضل[32].

استخلاص النتائج والاستنتاجات

أوَّلًا: النتائج:

هي ما يتوصّل إليه الباحث بعد جهود بحثيّة منظَّمة مؤسَّسة على أهداف واضحة وخطّة مُعدَّة على فروض، أو تساؤلات علميَّة، تُمكِّن من تجميع معلومات وافرة عن الموضوع قيد البحث، وتحليلها بكل موضوعيَّة وفقًا لمتغيّرات البحث الرّئيسة والثّانوية.

النتيجة: هي التي تنتج عن الجهود التي تبذل من بداية البحث إلى نهايته؛ ولذا فهي تحصيل حاصل ذلك الجهد الكبير، وهي التي بها تنجز الأهداف؛ ولهذا لا يمكن أن تكون النتيجة العلميَّة مخالفة لأهداف البحث مع إنَّها يمكن أن تكون مخالفة لفروضه، مما يستوجب على الباحث صياغة الفرض البديل بديلًا عن الفرض الرئيس الذي أُبطِلَ بالبحث والدراسة.

وترتبط النتيجة بالبحوث التجريبيَّة والميدانيّة والمعياريّة بوصفها حقائق ذات علاقة بمتغيّرات البحث التي تم إثباتها أو بطلانها بمعادّلات ومقاييس معياريّة إحصائيّة.

---

[32] قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دمشق: دار ابن كثير، 2010م، ص 256.

والنتيجة لا يمكن أن تكون خارجةً عمَّا تمَّ البحث في متغيّراته، فإن كانت خارجة فهي لا تعدّ نتيجة علميَّة؛ وذلك لخروجها عن قاعدة الالتزام الموضوعي.

والنتائج مكمن الحلول والمعالجات، أي: هي التي تستمد منها الحلول والمعالجات للظاهرة أو المشكلة البحثيَّة.

ثانيًا: الاستنتاج:

والاستنتاج استنباط الأثر الذي أنتجته العلاقة بين المتغيّرات وأهداف البحث؛ ليكون علامة دالة على وجود علل وأسباب لوجود الظَّاهرة، أو المشكلة البحثيَّة.

الاستنتاج: مكمن الحلول والمعالجات، فإن كان استنتاجًا موضوعيًّا نتجت عنه حلول ومعالجات موضوعيَّة.

الاستنتاج: لا يكون إلَّا في البحوث النظريَّة والمكتبية، ولا يكون في البحوث العمليَّة والمعيارية والميدانية التي تعتمد على الحقائق المقاسة والمجرَّبة.

ومن خلال متابعة الباحث وتقصِّيه بالملاحظة الموضوعيَّة يُمكِنه أن يستقرأ استنتاجات بحثه؛ ولذا فأمر الاستنتاج العلمي ليس أمرًا هيّنًا فهو يستوجب خبيرًا أو مشرفًا متمكِّنًا ذي مقدرة على الاستنباط والاستقراء وإلّا قد يغفل عن تلك العلاقات التي تربط متغيّرات البحث بعضها ببعض؛ ولهذه الضرورة تُقِرّ الجامعات ومراكز البحوث العلميَّة المتقدّمة ضرورة الأستاذ المشرف على البحاث الذين يسعون لنيل درجة الماجستير والدكتوراه.

إذن: الاستنتاج عمليَّة عقليَّة إدراكيَّة تترتّب على مقدرة الباحث على التمييز بين الدقيق والأدق منه دون لبس أو غموض، وهي لا تخرج مطلقًا عمَّا يسعى الباحث إلى تحقيقه أو إنجازه وفقًا لِما صاغه من أهداف علميَّة.

وكما أنَّ النتيجة ترتبط بالأسباب والعلل فكذلك الاستنتاج يرتبط بالأسباب والعلل التي كانت سببًا في كشف الحقيقة ومعرفتها؛ حتى تمكَّن الباحث من الاستنتاج الذي يفيد معالجة الحالة أو الظَّاهرة أو المشكلة.

تفسير النتائج:

التفسير explication جهد عقلي ومعرفي يستقرأ به ما تشير إليه النتائج المتوصّل إليها؛ ولذا فالتفسير دائمًا للنتائج التي يتوصّل إليها الباحث في نهاية بحثه، أو إتمامه وإنجازه، وهكذا تُفسَّر التجارب التي ثبتت بالمعايشة مع تجارب الحياة الخاصّة أو العامّة.

ووفقًا لقواعد طرق البحث الاجتماعي تخضع المعلومات للتحليل، وتخضع النتائج للتفسير؛ ولذا فمن يفسّر المعلومات لا يمكن أن يصل إلى نتائج موضوعيَّة ولا إلى رأي صائب، ومن يريد أن يصل إلى رأي صائب أو أن يُكوِّن رأيًا سليمًا فعليه بتجميع المعلومات أوَّلا، وتحليلها ثانيًا، وتشخيص الحالة ثالثًا، حتى يتم بلوغ النتائج بموضوعيَّة، ومن بعد ذلك بإمكانه أن يُفسِّرها ويصل إلى رأي سديد ونافع، وله الحق بعد ذلك أن يصوغه في توصيات لِمن يريد أن يستفيد أو يفيد.

وبعد أن تتم عمليَّة تحليل المعلومات والبيانات يصل الباحث إلى نتائج علميَّة، أو مقترحات علميَّة تفيد الذين أجريت الدراسة أو البحث من أجلهم، وقد تفيد الآخرين الذين تربطهم علاقات اجتماعيَّة أو إنسانيَّة بهم؛ ولذا فالباحث في

حاجة لأن يُفسِّر نتائج بحثه؛ لكي يبني رأيًا موضوعيًّا يُمكن أن يوصي به المجتمع أو الجهة التي طلبت منه أن يجري هذا البحث أو ذاك، ومع أنَّ النتائج حقائق موضوعيَّة إلَّا أنَّها قابلة للتفسير الذي على أساسه توضع الخطط وتحدّد المعالجات أو الإصلاحات[33].

والنتائج تتطلَّب تفسيرا يبيّن العلاقات بينها وظرفها الزَّماني والمكاني، اللذين ظهرت فيهما، وكذلك المعطيات التي كانت وراءها، والمتغيّرات التي أثرت فيها تأثيرًا مباشرًا، أو غير مباشرٍ.

فالتفسير العلمي: هو تعليل الباحث لبراهينه العلميَّة على تلك الحقائق التي استكشفها، أو استنباطها بالتقصي الدقيق والانتباه الجاد والتتبُّع عن وعي.

ويعتمد التفسير على قدرات الباحث، وتخصّصه، وخبرته ومهارته، ومدى مصداقيّة المعلومات والبيانات المتحصّل عليها؛ حتى يكون قادرًا على التمييز بين الآثار المباشرة وغير المباشرة التي كانت وراء الظَّاهرة أو موضوع البحث، سواء أكانت ذات تأثير موجب، أم تأثير سالب على الموضوع، ويستمد الباحث تفسيره من صلب الموضوع، ومن خلال عوامله وعناصره ومتغيّراته، وتصنيفاته، ونتائجه.

والتفسير مع أنَّه للنتائج إلّا أنَّه على علاقة بمعرفة تلك الأسباب التي أظهرت النتيجة العلميَّة؛ ولذا فالتفسير العلمي لم يكن حكمًا مطلقًا، بل تحصيل حاصل الجدل بين القضايا وعللها.

التفسير عمليَّة واعية بالمعطيات من خلال اكتشاف العلاقة بين المبادئ، والأهداف وما يؤدّي إلى التطلُّع إلى الأفضل.

---

[33] المصدر السابق، ص 214.

وهكذا تستمر العلاقات بين التحليل والتفسير، ويستمر الترابط بينهما إلى النهاية مثل استمرار الترابط بين حاجاتنا ومشبعاتها المتطوّرة، فعندما تحلّل الأسباب التي تجعل الإنسان على سبيل المثال: يبحث عن الماء، أو الأكل، أو الجنس وبأيّ وسيلة ممكنة، يفسّر ذلك بأنّها غرائز، والغرائز بطبيعتها تحتاج إلى الإشباع؛ فالماء ارتواء للعطش، أي: إنَّ العطش غريزة تحتاج إلى الارتواء، والماء باعث مشبع لها، والجوع غريزة تحتاج إلى الإشباع بالأكل، مما يجعل الأكل باعث إشباع الغريزة، وهكذا يكون الجنس باعثًا إلى إشباع اللّذة شهوة، وتستمر الحياة إلى النّهاية بين الحاجات ومشبعاتها، وتتغيّر الحالات بتغيّر ظروفها، مما جعل ظروف الإشباع غير ظروف الحرمان، وكل هذه الغرائز ترتبط فيما بينها بالشهوة: (الشهوة للماء، والشهوة للأكل، والشهوة للجنس).

وعلى أيّة حال التفسير عمليَّة فكريَّة تتأثّر بقدرات الباحث، واستعداداته؛ ولهذا يختلف المفسّرون فيما يفسّرون أحيانًا مع أنَّ النتيجة واحدة؛ وذلك بأسباب اختلاف الثقافات والخبرات والمهارات ودرجة الفطنة لدى كل مفسّرٍ، ومدى درجة الإلمام بالموضوع الذي يخضعونه للتفسير[34].

أمَّا التفسير للاستنتاجات فقد يكون صائبًا وقد يكون خاطئًا؛ وذلك لتأسيسه على الاستقراء والاستنباط المجرَّد، الذي في بعض الأحيان لا يُلم بأبعاد مفاهيمه بيسرٍ وسهولة من قبل المفسّرين إذا كان المفسّر غير الذي أجرى البحث أو الدراسة.

وعليه: يهتم التفسير العلمي بالآتي:

---

[34] المصدر السابق، 87.

أوَّلًا: النتائج وعلاقتها بالموضوع.

ثانيًا: علاقة الموضوع ونتائجه بالنظريّات السَّابقة.

ثالثًا: ارتباط النتائج بالإطار المرجعي الذي أثّر تأثيرًا مباشرًا أو غير مباشر في الدراسة أو البحث.

رابعًا: علاقة النتائج بالمستهدفات التي دفعت الباحث إلى إجراء البحث أو الدراسة.

خامسًا: علاقة النتائج بالفروض أو التساؤلات العلميَّة فهل هي حققت أهدافها ووصلت إليها بكل وضوح أم إنَّ العلاقة كانت على غير ذلك.

وعليه: يعدّ التفسير محاولة الإجابة عن السُّؤالين:

1 . لماذا؟

2 . وكيف؟

لماذا كانت هذه العلائق؟، وكيف ظهرت؟

وعليه: يختلف التحليل عن التفسير؛ من حيث إنَّ التحليل يستهدف المعلومات، والتفسير يستهدف النتائج[35].

---

[35] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المضمون ودراسة الحالة)، القاهرة، المصرية للنشر والتوزيع، 2019م ص 15 – 67.

البحث العلمي يصنع أملًا

الأمل كونه استشعار الحيوية والمقدرة فهو قابل لأن يتمدّد قوّة تجاه المأمول رغبة وإرادة، ومع ذلك فالأمل لم يكن قالبا جاهزا، بل مولود تلك الحيرة التي تجول في العقل وتستفزّه تفكيرا وبحثا عمّا يجب حتى يَرشُدَ معرفة تقتنص مأمولا، يستوجب جهدا يبذل لنيله.

ومن ثمّ فالأمل لا يصنع إلّا والحيرة تسبقه تفكيرا وبحثا وتدبّرا حتى تنجلي غيوم الذّهن والنفس فكرة ترشد لما يفكّ التأزمات ويخلّص من القلق، ويمكّن من العمل المنقذ ممّا يخيف ويؤلم.

ولأنّ الفكرة أملا مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، لكنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة من دون حيرة تسبقها، هي: ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، وبالتالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاء.

ومع أنَّ هذا الأمر يعد سالبا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاء، لكنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، ولكنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء؛ ولذلك فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها محيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

إذن: فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يُقتنص له حلّ، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة أو إعجازا أو ممكنًا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له أملا وحلًّا.

وهذا لا يعني: أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها مأمول، ولكن هذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

فالحيرة العلمية لا تواجه إلا الجادّين؛ ولهذا ينبغي أن نعرف أنّ الحيرة درجة متقدّمة من التفكير العلمي الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين، حيث لا خروج من الحيرة العلمية إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكالية لا مفرّ من البحث فيها إن أردنا بلوغ المأمول ونيله.

وكما أنّ الحيرة يقظة عقلية تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعد معطية مثيرة للعقل ومستفزّة لملكاته التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى

ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وبخاصّة من الآملين، فهم لا يخافون مواجهة الصّعب، بل الخوف بالنسبة إليهم ألا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقلية معه كلّما حدثت عن تدبّر فكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء؛ ولذا ستظل الفكرة عقلية إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والتجسّد سلوكا.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، لكنّه أيضا منبع الأمل، ومع أنَّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، إلا أنّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسئولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غاية مأمول.

ولأنّه الأمل صنعا؛ فهو لم يكن معجزا ولا مستحيلا، ولأنّه لم يكن كذلك، فَلِمَ لا يُصنع! أي: لا استغراب من صنع الأمل، بل الاستغراب ألا يتم الإقدام على صنعه. وصنع الأمل يستوجب:

ـ إرادة.

ـ تحدّيًا.

ـ مقدرة.

. تخطيطًا.

. إعداد عدّة.

. صبر.

. إمكانات.

. عزيمة.

. إدارة زمن.

إذن: الأمل لا يُمنح من أحدٍ، فلا داعي للانتظار، أو حتى للالتفات، فمن أراد أملا فعليه بعقله دون الاتكاء على عقول الغير؛ فالغير يمكن أن يعطوك رأيا أو يقدّموا لك رؤية، ولكنّهم لن يعطوك أملا حتى وإن أرشدوك إلى مستقبل يرونه أفضل؛ فلا تعتمد على أصابع الغير في حكّ جلدك.

الأمل تستفزّه الحاجة المدخلة للحيرة التي فيها يجد العقل نشاطه الفكري كلّما وجد الصبر في النفس مكانة، ولكن أن رفضته النفس قلقا، فلا إمكانية لصناعة الأمل. وفي المقابل كلّما وثقت النفس في حيرة العقل فكرا، وجد الأمل مكانا يتربّع عليه؛ ولذلك تعد القلوب الصافية والنفوس الصافية أماكن ولادة الأمل تيسيرا، أمّا أولئك الذين ضاقت نفوسهم حقدا ومكرا وكيدا وحسدا؛ فلا إمكانية لديهم تصنع أملا.

والأمل لا تصنعه الصدف، بل القصد وحده قادر على صنعه، فلم لا نتوجّه لصنع الأمل بما أنّ غيرنا قد صنعوا آمالا؟

ولهذا فصناعة الأمل تتطلّب:

. وضوح المأمول.

. مثابرة جادة.

. مكاشفة النفس.

. بذل الجهد.

. قبول دفع الثّمن.

. الاستعانة بأهل الحكمة والدراية.

. أخذ العبر من التاريخ.

. الدراية بما يجب قبل الإقدام على ما يجب.

وعليه:

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل المأمول قمّة.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكن؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك الاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع الأمل ارتقاء يستوجب:

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ليعيشوا حياة تعليمية وصحية واقتصادية مرضية.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمأكل والملبس والتنقّل، وإلا سيظلون في عازة ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعية وصنع المستقبل ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّرورية، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج ؛حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعد حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائما على هذه المنوال ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدمية والإنتاجية وهيئاته وشركاته؛ لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعية إلى الانفتاح على الآخرين والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدّد لدي أفراد المجتمع، حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب بناء الذّات ودخولها ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها؛ حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتية لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكنوا من العيش برفاهية واستجمام.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع لأخذ المفيد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات النقطة قمّة.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعية ويحقّق لهم أبعادًا إنسانية في المجالات الاقتصادية والسياسية والنفسية والذّوقية والثقافية.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود، ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره؛ فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر؛ فعلى مؤسّسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدا في مؤسّسات الرّعاية الاجتماعية؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، ولأنّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانية، تأسست هيئات وجمعيات ومؤسسات دولية إنسانية لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أم جماعات منها.

ومع أنَّ النّاس يأملون المستقبل الأجود والأفيد، ولكن القليل منهم هم الذين يحملون أعباء بلوغه، أي: إنّ البعض يعمل على صُنعه والبعض ينتظره زمنا،

فالذي يعمل على صُنعه يأتي إليه، أمّا أولئك المنتظرون فسيظل الزّمن أمامهم مستقبلا وهم يتمنّون؛ ولهذا الفرق كبير بين من يأمل ويعمل على بلوغ مأموله، ومن يتمنى فيبقى في أمانيه ساكنا.

والنّاس كلّ النّاس هم بين مأمولٍ ومتمنٍ؛ ولهذا فهم مختلفون وسيظلون كذلك؛ فالذين يأملون يعملون ويسعون إلى معرفة وإنجاز المزيد، والذين يتمنون سيظلون يتمنون.

صُنع المستقبل المأمول رفعة يؤسّس لوطن فيه المواطنون يسودون دون سيادة مظالم، الرّجل والمرأة والصّغير والكبير هم رأس مال الوطن، ممّا يجعل ثروة الوطن ملك للجميع، والتعليم حقّ للجميع، والصّحة حقّ للجميع، والخدمات المتميّزة حقّ للجميع، والأمن حقّ للجميع، وأداء الواجبات حقّ على الجميع، وحمل المسئوليّة عبء يحمله الجميع، وكلّ وفق قدراته واستعداداته ومهاراته وتخصّصه وتأهيله وصلاحيّاته واختصاصاته، مع تقديم أفضل رعاية للمعاقين والعجزة والمرضى وإعالة ورعاية من لا عائل لهم ولا راعٍ.

فالآمل لا يرى الحكومة والمجتمع المدني إلّا في حالة شراكة؛ فكلّ واحد ييسّر للآخر أعماله وكلّ واحد يقوم بمهمّة المراقبة على الآخر، ممّا يجعل ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي ماثلة بين يدي النّاس يمارسونها بكلّ شفافية، مع وافر الرّقابة المتبادلة بين مكوّنات المجتمع المدني والحكومة التي يتمّ اختيارها خبرة ودراية ومهنة وتخصّصا ومكانة اجتماعية وإنسانية رائدة، وكلّ ذلك لا يتمّ إلّا تحت مظلّة الدّستور وما يتفرّع منه من قوانين ونظم مشرّعة؛ ولهذا لا داعي أن تضع الحكومة

نفسها في كلّ مكان، فإن ارتأت ذلك؛ فلن تجد لها مكانا، وإن فرضت نفسها بغير إرادة من أهل الأرض سترهق أجهزتها الأمنية وإن كثرت.

ومن ثمّ عندما يصبح أهل الأرض (الشّعب) شركاء في إدارة الدّولة دستورا. سينتهي ذلك الدور الأمني (الشّك في الموطنين)، ويحلّ محلّه دور جديد (لا ثقة إلّا في الشّعب) وبالتالي لن يكون دورها مطاردة المنحرفين لمعاقبتهم، بل دورها جمعهم من أجل الإصلاح، ثمّ غرس الأمل في نفوسهم من أجل مستقبلٍ أفضل، وهكذا سيكون دور رجال البوليس احترام المواطنين وتقدير ظروفهم وتفهُّم أحوالهم، أي: العمل بشكل وثيق مع المواطنين؛ لتحسين مستويات الجماعة المحلية والسّلوك المدني واستخدام الثّقافة والاقتناع والتشاور بدلا من توجيه الاتّهامات بغير حقّ؛ ولذلك تسنّ القوانين التي ترشد إلى ما يجب، وتنهى وتحذِّر وتحرّم ما لا يجب، ثم تعاقب دون مظالم، ومن هنا تصبح تقوية القانون ضرورة من أجل ممارسة الحرّية وبكلّ شفافية. فعندما يصبح المواطن صاحب سيادة في وطنه فلا إمكانية لوجود متطرّفين ومرهبين بين الشعب؛ ذلك لأنّ عيون الشعب كلّها رقابة.

ولأجل التغيير من حالة التّعاسة إلى حالة الرّفاهية ينبغي ألّا يكون التركيز على تقديم المساعدات؛ فالاستمرار في تقديمها يجعل الاتكال والاستمرار في طلبها مستمرّا؛ ولهذا وجب غرس الآمال في عقول النّاس ودفعهم إلى العمل وتحفيزهم عليه.

البحث العلمي يُمكّن من الأمل ارتقاء:

الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والمأمول نافع ومفيد، وأنّ الآمل لا يسعى إلّا لما يفيد، ومن هنا يوصف المأمول بالقمّة؛ فيصبح الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُّفلية والدّونية؛ فيؤخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر

التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه يمكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان، ولا يقلل من شأنه، ولا يحرم من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئولياته. والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد يكون نتاج التربية وتهذيب السلوك ومخافة الله.

والأمل ارتقاء هو الذي فيه تُتّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلال للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ الأمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به؛ لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

إذن: الأمل ارتقاء يستوجب عملا وجهدا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا أمل ولا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليّا وقد يكون فنيّا ولوجستيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها، أي: يجب أن تقدّر تقديرا عاليًا؛ من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة الآملين.

ومن ثمّ، فالأمل ارتقاء يستوجب دراية ومعرفة واعية، المعرفة بما يجب ليُتّبع، وما لا يجب ليجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل والمهنة والوظيفة وتشريعاتها، وحمْل المسئولية حتى وإن كانت عبئًا جسيمًا.

وعليه:

. الأمل والعمل ارتقاء لا يكونان إلّا عن وعي.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والعمل جودة لا تفارقه.

. الأمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقية.

. الأمل ارتقاء يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. الأمل ارتقاء احترام إنساني.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا نتاج تفكّر فيما يجب وأداؤه وفقًا لما يجب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكالية والطّمع.

. الأمل ارتقاء تحدّي صعاب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للمألوف المكلف.

. الأمل ارتقاء صنع مستوى قيمي رفيع.

. الأمل ارتقاء انفتاح موضوعي واستيعاب للأفضل والأجود.

ولذا؛ فالأمل ارتقاء فيه رفعة شأن، وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولكنّه لا يكون إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة، والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

فالكلمةُ الأمل مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يُقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الأمل ارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يُقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندم.

فالأمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوءها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل؛ لتكون المكانة فردية وجماعية؛ فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس

على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات: {وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[36].

فهكذا هم الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ، وكانت الآمال لا تفارق عقول النّاس؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا؛ فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر؛ كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء

[36] التوبة 105.

أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍّ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، بل ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

فالإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ولهذا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى. ومن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له، ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها؛ ولهذا فالارتقاء عملا يحقّق:

- الرّفعة.
- تبوء المكانة.
- القدوة الحسنة.

ـ الاعتماد على الذّات.

ـ بلوغ الغايات.

ـ نيل المأمولات.

وعليه: فالأمل ارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها؛ ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

فعليك بالعمل، فالعمل الصّالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[37]. أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الرّاقي حسابه، وللعمل الواطي حسابه، ولا يظلم أحدا.

صُنع الأمل تحدّي صعاب:

الصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يأمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء،

---

[37] الزلزلة: 7، 8.

لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، لكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر والأمل لا يفارقه؟! ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه أملا، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصّعاب والمأمول لا يفارقه فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه المأمول كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يَودُّ الوقوف عليه.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا أمل؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلًّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب، أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب أملا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شئونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[38].

---

[38] الأحزاب: 25.

ـ مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائما أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

ـ اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

ـ تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

ـ أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته.

ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث: إن 50% من الدّائرة ثابت أو متوقّع، وإنّ 50% من الدّائرة مهتز أو غير المتوقّع.

وهذا يعني: أنّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: إنّ الثابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيا أو إيجابيا، أو أن يكون نتاج الأعمال السالبة أو الموجبة؛ ولهذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة.

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيّا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن الأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة) فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدّي الصّعاب من أجل بلوغ المأمول ونيله، ولا استغراب إذ (كلّ شيء ممكن).

ولذلك فتَوافر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات التحصيل والإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذّهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله: "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح"؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلًا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع"، فسأله الشّاب: ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم: "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندي رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن: الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب، وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء، ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء، ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: "لا يا بني لقد تعلمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخَلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء؛ حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت".

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا، ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجأة.

. غرس الثقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعية الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية والذوقية وفقا للخطط والإستراتيجيات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثقة في أفراد الشعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعات أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعية في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الإفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحها، واستثمار ما يتوافر منها إلى أقصى درجة ممكنة؛ تحقيقًا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها؛ من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات ومؤسّسات الدّولة إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف، وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكّين الأفراد من إدارة شئون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك.

البحثُ العلمي يُمكّن من بلوغ المأمول:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملا، والهادمين له انحدارا، ما لم يضع

الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضا، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون

أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

. ولّد في نفسك وعقلك أملا من ورائه مأمولات.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين؛ فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والإستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهدافًا قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه أو رؤيته أو سياسته؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المأمولة.

وعليه:

ـ الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

ـ الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

ـ الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

ـ الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

ـ الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

ـ يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

ـ يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، ولكن في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عملية التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والآمال تُنال.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم؛ ولهذا لا ينبغي أن تكون أهداف الآمل غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاء).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّما نال بنو آدم مأمولا ينبغي أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهمية، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

في دائرة الممكن غير المتوقّع البعض يصنع له أملا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاء ينبغي أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يفتح آفاقا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء، وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء إذا عملوا وفقا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرضًا فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأملًا من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمال قابلة لأن تنال.

البحث العلمي يصنع الخوارق:

الأمل العظيم يحفّز أصحابه على تحدّي الصّعاب وتجاوز الحدود وبلوغ الخوارق، ومن هنا تلد المعرفة معارف؛ ذلك لأنَّ الخوارق ولادة ما لم يكن بالحسبان، وبها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنية ذات الرّؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها، وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز المألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة؛ فيضيف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن؛ فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجآت التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة مألوفة، وعن غير معتاد ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ قد أتي به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن

متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: إنّها الممكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه؛ كونه لم يكن مستحيلا ولا معجزًا، والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربا مع أنّ آمله غير ذلك، كونه قد صاغ له تساؤلات وإن كانت بالنسبة إليه على غير عادة.

ومن ثمّ؛ فالأمل تحدٍّ يقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعد عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق أملا.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم؛ فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاء من أجل بلوغها مأمولة.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا؛ حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك؛ فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن يغفل عن ذلك فكأنّه

قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه: فالإنسان مؤهّل للارتقاء أملا وحسّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيًا يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه مأمولا.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد المبدع والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ وهو لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكتسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو مأمول أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء؛ فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الأمل والطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنّا وثقافة وأدبا وإعمارا وبناء.

ولأنّ التاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، والفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى؛ ففي تلك الأحقاب

سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي بالرّغم من تنوّعها، وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك؛ فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا؛ فقيمة الإنسان تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد المختلفين داخل حدودهم بكلّ حرّية.

ولذلك؛ فالاختلاف لن ينقطع بين النّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍّ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ؛ فالأمل في بعض الأحيان يتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف؛ فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء معًا إلى مستقبل مأمول؛ فالفرد وإن خُلق فردا فهو لم يُخلق وحيدا؛ ولهذا لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النقلة وبلوغ المأمول.

ولأن صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما مَكمن الخوارق؛ فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن غير المتوقّع.

ولكن لكي تصنع الخوارق؛ فهي في حاجة لمناخ مناسب؛ حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ إنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجآت.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك، ولما حولك، ولما يجب، حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت؛ فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي: إنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تقهر المألوف، وقد تقضي عليه، ولا مخاوف.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

الأمل محفّز على الارتقاء:

الارتقاء قيمة مرغوبة، لا يُبلغ إلّا بجهد يبذل، وهو القيمة التي لا تجعل للإحباط والانطواء والانكفاء مكانا ليستقر فيه، ترفضه الإرادة والرّغبة والتحدّي والإصرار؛ ولذلك فالحياة من دون أمل محفّز على الارتقاء لا تكون إلّا مللا؛ فاصنع لنفسك أملا يخرجك من التأزّمات، واعلم أنّ الذين صنعوا لأنفسهم آمال ارتقوا حتى بلغوا القمم علما ومعرفة وتقدّما وحضارة.

فالارتقاء قيمة تفضيلية خصّ الله بها الإنسان خَلقا وخُلقا؛ فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه؛ فينبغي أن يكون على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي أمر بها الخالق، وفضّلها النّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[39].

نلاحظ في هذه الآية الفرق الكبير بين تلك الزّواحف مكبّة الأوجه، ومن يمشي سويّا (مقوّما)؛ ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق فإن شاء ارتقاء كان بها راقيا، وإن لم يشاء تصبح أخلاقه مكبّة.

---

[39] الملك: 22.

ولذا؛ فلا إمكانية لتلك المخلوقات أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ البعض لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه. وفي المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي معًا أن ينحدر خُلقا؛ فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقا.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنّه الإنسان بين التسيير والتخيير، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)؛ ولذلك فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[40]؛ ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمّا الاستثناء في دائرة الممكن ألا يُصححه؛ ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة: وهي متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة.

وعليه:

---

[40] البقرة: 37.

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[41]. ولأنّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خلقه في أحسن تقويم، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[42].

ولذا؛ فأساس خلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمّا الاستثناء ألا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خلقا. وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألا يأكلّ من تلك الشّجرة، {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[43].

ومن هنا، جاء انحدار أبينا آدم عوضا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خلقا، (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)، حيث الهبوط على الأرض التي فتقت من السّماوات؛ فأصبحت أرضا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ (في السّماء)، ولكن آدم عليه السّلام خُلق على حُسن التقويم فتدارك أمره، فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[44]؛ ولهذا فقد استثنى آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا).

---

41 الأنبياء: 30.

42 التين: 4.

43 البقرة: 35، 36.

44 البقرة: 37.

فالإنسان الأوّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء، وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو: المنهي عنه، (ألا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرا؛ حيث لا إمكانية له في ذلك.

فالارتقاء خَلقا سيظل باقيا ومميّزا لبني آدم، ولن يتطوّر أكثر من حُسن التقويم، وكذلك لن ينحدر عنه؛ فهو الخَلق الذي لا يتبدّل؛ كونه بيد الخالق، أمّا المتبدّل فهو الذي بيد المخلوق، وهي الأخلاق التي إن أصابها ما أصابها انحدرت من رقيّها.

وعليه:

. كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

. الخلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخُلق ولا تفارق.

. الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيّا.

. ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

. اعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

. ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: إنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيًّا، فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر آمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعندما تتاح لك فرص الاختيار فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني: أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن إنجازها ولا تحقيق الغاية

التي من ورائها، مع أنًّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماضٍ، وهو في الوقت ذاته بالنّسبة إلى إنجازها أو بلوغها لا يعد إلّا مستقبلًا[45].

[45] عقيل حسين عقيل، الأمل، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2017م، ص 123 – 173.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (154) مؤلّفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 –كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

155 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2021م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (155) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: Dr-Aqeel.com